

مفهوم الرجولة في المجتمع العربي الفلسطيني داخل إسرائيل



نساء ضد العنف

مفهوم الرجولة في المجتمع

العربي الفلسطيني داخل إسرائيل

إبراهيم سعيد

تموز 2008

مفهوم الرجولة في المجتمع العربي الفلسطيني داخل إسرائيل
بحث: إبراهيم سعيد

تدقيق لغوي: رؤى - ترجمة ونشر

تصميم غرافي وإنتاج: وائل واكيم

© حقوق الطبع محفوظة

جمعية نساء ضد العنف

الناصرة - تموز 2008

ص.ب. 313 الناصرة 16000

هاتف: ++ 972 4 6462138

فاكس: ++ 972 4 6553781

info@wavo.org

www.wavo.org

المحتويات

6	مقدمة
8	توطئة
12	مراجعات أدبية
12	المجتمع العربي
21	مفهوم الرجولة
29	منهجية البحث وأدواته
29	مجموعات بُورِيّة
34	المُقابلات المفتوحة
35	ورشة العمل
36	تحليل النتائج
37	المجتمع العربي
49	مفهوم الرجولة
59	مفهوم القوة.. والقوة الجسدية وعلاقتها بالرجولة
62	أن أكون رجلاً.. الرجولة، الذكورة والأنوثة ومسألة الفروقات بين الجنسين؛
68	تأثير الأوضاع السياسية والأمنية والدّين على بلورة مفهوم الرجولة؛
71	تبني مفهوم رجولة آخر؛
74	طرق عمل وتوصيات
79	ثبت المصادر
82	الملاحق

مقدمة

مقدمة

توطئة

الرجولة مفهوم ذو أوجه وملامح متعدّدة، ورغم أنه يميّز الرجال، لكنّ له تأثيراً كبيراً على مختلف شرائح المجتمع، المؤسّسات، الظواهر الاجتماعيّة، وحتى على النساء أنفسهنّ (Cheng, 1996). مفهوم الرجولة هو نتاج تاريخيّ حديث نسبياً، نابع عن تغيّر اجتماعي حادّ، متعلّق بالهويّة الجنسيّة¹، فتارةً نصادفه كسلوكيات حياتية، وتارةً أخرى كهويّة، كسلوك اجتماعيّ، أو كمعايير مجتمعيّة، ناهيك عن كونه مفهوماً متعلّقاً² ومتغيّراً من حقبة زمنية إلى أخرى، ومن مجتمع إلى آخر (Connell, 1995). وكما يرى كونيل (Connell, 1995)، فإنّه ليس في الإمكان فهم الهويّة الجنسيّة إلا من خلال تفاعلها مع الطبقة، العنصر، القوميّة، والموقع في النظام العالمي. وقد عرّفت آن أوكلي (Oakly, 1972) الجندر بوصفه ذلك المفهوم غير المرتبط بالجنس البيولوجيّ، باعتبار أنّ الهوية الجنسيّة، لكلّ من الرجل والمرأة، تقوم على أسس اجتماعية وثقافية، وهو يعتبر بمثابة نتاج علاقات القوّة والسيطرة داخل المجتمع.

إنّ المفاهيم الحالية للرجولة وأدوار الجنسين تشكّلت نتيجة لعدّة عوامل:

- 1 لا توجد ترجمة متفق عليها في اللغة العربية لكلمتي «جنس» و «فمّنيزم» (Feminism)، حيث تمّت ترجمة كلمة «جنس» أحياناً، بـ «الهويّة الجنسيّة»، «النوع الاجتماعي» و «الجنوسة». كما تمّت ترجمة كلمة «فمّنيزم» بمصادفات مختلفة، فترجمها البعض بـ «حركة التحرّر النسوية»، أو «النسويّة»، في حين ترجمها كمال أبو ديب بـ «الأنثوية» لاشتقاق رديفتها في الإنجليزية من الأنوثة. وقمنا في إطار هذا البحث باستخدام «الجنوسة»، «الهويّة الجنسيّة»، و «النوع الاجتماعي» كمصادف لكلمة «جنس»، فيما استخدمنا «النسويّة» كمصادف لـ «فمّنيزم».
- 2 يتعلّق بطروف تاريخية، سياسية، ثقافية، اجتماعية، اقتصادية، فكرية، ودينية.

1. النمو الاقتصادي والعسكري غير المسبوق للقوى الأوروبية والأمريكية.
 2. إنشاء إمبراطوريات عالمية ونظام اقتصاد رأسمالي عالمي³. تأثير
 الاستعمار على دول العالم النامية (Connell, 1995)، والذي كان له بدوره
 تأثير كبير على بلورة مفهوم الرجولة لدى الرجال العرب بشكل عام،
 والفلسطينيين بشكل خاص، فالمجتمع العربي في إسرائيل يعيش، منذ
 نكبة العام 1948، حالة من عدم الاستقرار السياسي، وهي وضعية ذات
 تأثير كبير على المجتمع ككل، بما في ذلك على الظروف الحياتية، التقسيم
 الجندرية، والسلوكيات الاجتماعية في داخله، الأمر الذي يؤكد أنه ليس في
 الإمكان دراسة الجنوسة من دون دراسة السياق الاجتماعي الذي تتبلور من
 خلاله تلك الهوية. ويتكوّن هذا السياق في فضاء تاريخي، سياسي، قانوني،
 وثقافي محدّد، وبالتالي لا مكان للحديث عن إنشاء هويّات في معزل عنه
 (Connell, 1995).

تعتبر مسألة الرجولة إشكالية حديثة العهد، وهي لم تطرح حتى الآن في
 مجتمعنا بشكل واضح. وعلى غرار المجتمعات الغربية، فإنّ الأدب المخصّص
 صراحةً للذكورة في العالم العربي هو أدب نادر جدّاً، إذ إنّ تجاهل تاريخ
 النساء، وغيابهنّ عن القسم الأعظم من الأبحاث التي تناولت الشرق الأوسط،
 واعتبارهنّ جزءاً لا ينفصل عن بنى اجتماعية ديناميّة واقتصادية-سياسية،
 أدّى إلى التركيز، أساساً، على النساء في الدراسات التي تمحورت حول الجندر
 (سنكلير وغصوب، 2000). وحتى في ما يتعلّق بالمجتمع الفلسطيني داخل
 إسرائيل، فرغم صعود العديد من الباحثين المحليين³ الذين بحثوا المجتمع
 وظواهر متعدّدة فيه، ورغم صعود عدد من الباحثات⁴ الفلسطينيات النسويّات

3 على سبيل المثال؛ خالد أبو عصبه، عزمي بشاره، أمل جمال، عزيز حيدر، رمزي سليمان، أحمد
 سعدي، محمد حاج يحيى.

4 على سبيل المثال؛ خولة أبو بكر، ابتسام إبراهيم، منار حسن، تغريد يونس، روضة كناعنة، هنيده
 غانم ونادرة شلهوب-كيفوركين.

اللواتي أخذنَ بالحسبان في أبحاثهنّ عوامل موازين القوى بين الرجال والنساء كجزء من السياق السياسي، الاجتماعي والتاريخي، لم يقدّم أيّ بحث نسويّ، حتى الآن، بطرح موضوع الرجولة في المجتمع العربي الفلسطيني داخل إسرائيل⁵.

سنقوم من خلال هذا العمل الذي نحن بصدده بفحص مفهوم الرجولة المتبع داخل المجتمع العربي الفلسطيني في إسرائيل، كيفية تكوّنه، تأثيره على الأفراد، سواء أكانوا رجالاً أم نساءً، فهم الديناميكيات السائدة، تأثير المجتمع على تكوّنها، فحص الاختلافات في هذه المفاهيم، ومدى قبول الأفراد لمفاهيم رجولية مغايرة للمعايير المجتمعية، وذلك بهدف فحص إمكانية تحفيز المجتمع على تغيير المفاهيم المتبعة بأخرى أكثر إنصافاً. وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ هدف هذا البحث، شأنه في ذلك شأن الأبحاث النسوية عموماً، هو التغيير الاجتماعي الفعليّ، لأنّ ينحصر ضمن حدود البحث النظريّ فحسب. وقد قمنا بذلك من خلال تتبّع المواقف والسلوكيات التي تمّ التعبير عنها في 1. مقابلات مفتوحة، 2. نقاشات ضمن مجموعتين بؤريّتين مختاريتين، إضافة إلى الارتكاز على ورشة عمل شاركت فيها إدارة، موظفات ومتطوعات جمعية نساء ضد العنف. ومن الجدير بالذكر أنّنا اعتمدنا، في هذا البحث، بشكل أساسيّ، على الأداتين الأوليتين، وبشكل أقلّ من ذلك على نتائج ورشة العمل، بسبب عدم شموليّة النتائج الناتجة عنها، حيث انحصرت النظرية فيها على مفهوم الرجولة المتبع، ومفهوم الرجولة المرجوّ، والفرق بين الذكورة والأنوثة.

خطاب البحث هو خطاب نسويّ، ينظر إلى الهوية الجنسية والرجولة، بشكل خاصّ، كنتائج علاقات قوّة وسيطرة بين الرجال والنساء وبين الرجال والرجال،

5 تقوم الناشطة النسوية عرين هواري، حالياً، بإنهاء وظيفة ماجستير تحت عنوان: «الرجولة في فترة الحكم العسكري».

على حدّ سواء، في سياق سياسي، اقتصادي ودينيّ. في النهاية، نودّ أن نشير إلى أن هذا البحث ليس بحثاً أكاديمياً، وليس ممثلاً، بمعنى أنّه بحث نوعيّ لم يعتمد على شريحة مُثّلة من المجتمع، إنّما هو بمثابة قاعدة لمشروع عمل وفاتحة تحفيزيّة لأبحاث مستقبلية أكثر عمقاً في هذا المجال.

مراجعات أدبية

يُقسم هذا الفصل إلى جزئين. الجزء الأول هو «المجتمع العربي»، وسوف أحاول أن أتطرق فيه إلى مبنى المجتمع العربي بشكل عام، تأثيره على الأفراد، تأثير الاستعمار العالمي وإنشاء دوله إسرائيل على المجتمع الفلسطيني، وعلى الأفراد فيه. الجزء الثاني هو «مفهوم الرجولة»، وسوف أطرح من خلاله مفهوم الرجولة من منظور علمي، وأتناول نظريات قامت بتفسير مفهوم الرجولة، بدءاً من النظرية السيكلوجية وانتهاءً بالنظرية النسوية. ومن الجدير بالذكر هنا أنّ هذه الفصول جميعاً مرتبطة بعضها ببعض، إذ إنّ موضوع الرجولة واسع جداً، وهو متأثر بالمجتمع، بالعالم وبالعلاقات القوية المختلفة.

المجتمع العربي

المجتمع العربي هو مجتمع نظامي ذكوري مبني على تقسيمة مجنسة للحيز الاجتماعي، حيث يتمّ من خلاله تقسيم الحيز الاجتماعي إلى حيز عام - ذكوري، وحيز خاص - أنثوي (Rosaldo, 1974). ويضيف المفكر حسن حنفي أنّ التقسيمة أكثر صرامة في المجتمعات التقليدية، إذ «في المجتمعات التقليدية المحافظة تعيش المرأة بين الغياب والحضور، الغياب التام في النهار، والحضور الكاسح في الليل، فهنّ عورة المجتمع ونقطة

ضعفه، ومصدر فتنة لرجاله، فالرجل هو الظاهر المتجلى والمرأة هي الباطن الخفي» (حنفي، 2004). ويصف د. حليم بركات (بركات، 2000) المجتمع العربي المعاصر بأنه، تاريخياً، كان وما يزال يقوم، إلى حد بعيد، على بنية إنتاجية تجارية - زراعية متركزة حول العائلة، يُرافقها ظهور نظام ريعي في البلدان المنتجة للنفط، متخلف يعاني التبعية إثر اندماجه في النظام العالمي الرأسمالي (هذه التبعية التي تتفاقم في زمن العولمة)، شديد التنوع في بنيته وانتماءاته الاجتماعية، أبوي يعاني النزعة الاستبدادية على مختلف الصعد، مرحلي - انتقالي - تراثي تتجاوزه الحداثة والسلفية، شخصانيّ في توجيهه، وإن كانت له محرّماته ومكبواته الصارمة. وقد افترض عالم الاجتماع الفلسطيني هشام شرابي، في كتابه «النظام الأبوي وإشكالية تخلف المجتمع العربي»، أنّ «بنى النظام الأبوي في المجتمع العربي على مرّ الأعوام المائة الأخيرة لم يجرّ تبديلاً أو تحديثاً، بل إنّها ترسّخت وتعزّزت بأشكال محدّثة مُزيّفة. ذلك أنّ اليقظة العربية التي شهدتها القرن التاسع عشر لم تعجز عن تفتيت أشكال النظام الأبوي وعلاقته التخلّية فحسب، بل عمدت، أيضاً، وبإشاعتها ما أطلقت عليه لقب اليقظة الحديثة، إلى توفير تربة صالحة لإنتاج نوع هجين وجديد من المجتمع/الثقافة - أي مجتمع/ثقافة النظام الأبوي المستحدث الذي نراه ماثلاً أمامنا في الوقت الراهن» (شرابي، 1992). ومن هنا، فإنّ البنية المجتمعية الأبوية بقيت، حسب الباحثة المصرية شيرين أبي النجا، متركزة على نظرتها الأساسية الدونية للمرأة كجسد، وأنّ مظاهر العصرية من تغيير في اللباس وخروج المرأة للعمل لم تغيّر حقيقة وضع المرأة في المجتمع (أبو النجا، 2003).

إنّ العائلة كمؤسسة اجتماعية هي الوسيط الرئيس بين شخصية الفرد والحضارة الاجتماعية التي ينتمي إليها. شخصية الفرد تتكوّن ضمن العائلة، وقيم المجتمع وأنماط السلوك فيه تنتقل، إلى حدّ كبير، من خلال العائلة

وتتقوى بواسطتها (شرابي، 1992). تشكل العائلة، وفق حليم بركات، نواة التنظيم الاجتماعي الأبوي. وهي تشكل وحدة اجتماعية إنتاجية. إلى جانب ذلك، فهي أبوية من حيث مركزها على سلطة ومسؤولية الأب، وهي هرمية، حيث يحتل فيها الأب رأس الهرم، ويكون تقسيم العمل وتوزيع الأدوار على أساس الجنس والعمر، «إن دونية الصغار ودونية النساء هما ركائز العائلة العربية» (بركات، 2004). ومن هنا، تشبه نوال السعداوي علاقات المرأة والرجل، في النظام الأبوي، بعلاقة السيد والعبد، حيث تقوم على أساس سيطرة الرجل على المرأة، تمامًا كما يسيطر السيد على العبد (السعداوي، 1974). ويضيف شرابي أن الأنثى يجري تمييزها عن الذكر بصورة أساسية، فهو - أي الذكر - مصدر كسب العائلة، وهي عبء عليها، والبنات منذ نعومة أظفارها تدفعها العائلة إلى الشعور بأنها غير ضرورية، وغير مرغوب فيها، وتعلمها على قبول وضعها كأثني. فثمة في المجتمع العربي، كما في سائر المجتمعات القائمه على سيطرة الرجل، ميل عفوي إلى الإفراط في تضخيم دور الرجل والتقليل من أثر المرأة (شرابي، 1992). إن الصفة المُميزة للعائلة هي استمرار الأنماط الأساسية للروابط العشائرية في تنظيم العائلة وعلاقاتها (شرابي، 1992)، إذ إن الأب يمارس سلطة واسعة في هذه الأوساط، والمرأة يجري تدريبها لتصبح امرأة مكرسة للواجب (شرابي، 1992). ومن الجدير بالذكر أن التربية المثبعة في المجتمع العربي، حسب قول شرابي، تلعب دوراً حاسماً في تحديد نوعية الشخصية من حيث ارتباطها بمجتمع معين، ويكون تأثيرها كبيراً على استقرار النظام الأبوي واستمراريته. «إن الطفل العربي يتلقى تربية تجعله يشعر بالخجل أكثر مما يشعر بالذنب، فالدافع إلى الخجل هو أن الآخرين يشاهدون ما ارتكبه من عمل سيء، لا لأنه يشعر داخلياً بالندم على ذلك العمل السيء حاكماً على نفسه كيف يجب أن يحكم. من هنا، فإنه في شروط تربية كهذه تنعدم القدرة على نقد الذات وإدانتها، فينشأ مقابل ذلك مجرد رد فعل للضغط

والنقد الاجتماعيين. إذ إن الشعور بالخجل يتكوّن بتأثير ما يتصوّره الفرد عن رأي الآخرين فيه أكثر ممّا يتكوّن بسبب رأيه هو بنفسه» (شرابي، 1992). ويضيف أنه من الناحية العملية، فالعيب الذي يشعر به الفرد العربي هو «ما يقوله عنه الناس»، بمعنى أن لا عيب في ما لا يراه الناس وما لا يسمعونه. وهذا ليس فقط تمييزاً بين ما يفعله الإنسان وما يجب أن يفعله، بل إنه يفترض موقفاً هو موقف الكتمان الذي يتحوّل في سلوك الراشدين إلى عادة إخفاء النوايا والحذر فيما يقوله وممّا يقوله الآخرون. وبذلك، تصبح أعمال الناس غير ما تبدو عليه، بحيث أن هناك دوماً معنى مبطناً ونية مكتومة وراء كل كلمة وكلّ إيماة تصدر عن الآخرين (شرابي، 1992).

إنّ العائلة في خصائصها الأساسية هي صورة مُصغّرة عن المجتمع. فالقيم التي تسودها من سلطة وتسلسل وتبعيّة وقمع، هي التي تسود العلاقات الاجتماعية بصورة عامة. والنزاع والتباين والتنافر هي عوامل تميّز العلاقات بين أعضاء المجتمع، كما تميّز العلاقات بين أعضاء العائلة الواحدة. كذلك، فإن بنية العائلة القائمة على السلطة الفوقية تقابلها بنية اجتماعية مماثلة أيّاً كان النظام الاجتماعيّ، مع العلم أنّ الفرد مضطهد في كلّ منها، على حدّ سواء. ومن حيث هي نظام، تقوم العائلة، في آن واحد، بتجسيد دعم النظام الاجتماعيّ الأكبر. كما أنّ جميع المؤسّسات التي تمثّل دور الوسيط، بما في ذلك المؤسّسات التربوية والدينية، تقوم هي الأخرى، أيضاً، بتعزيز القيم والمواقف التي تدرّج العائلة بواسطتها أعضائها في الحياة الاجتماعية (شرابي، 1992).

يُعتبر التحالف بين المجتمع والعائلة وسيلة أساسية تلجأ إليها الثقافة الاجتماعية المسيطرة لضبط التغيير والمحافظة على استقرار النظام الاجتماعيّ المبنيّ، بدوره، على النمط السائد في تركيب العائلة وفي توزيع الثروة والسلطة والمكانة الاجتماعية في المجتمع العربي. ويضيف شرابي

في كتابه «بحث في المجتمع العربي المعاصر، البنية البطركية» أن الفرد، في المجتمع البطرقي الحديث، يضيع إذا انقطع عن العائلة أو العشيرة أو الطائفة الدينية. فالدولة، بالنسبة إليه، لا تستطيع الحلول كلياً محل هذه البنى الأولية التي توفر له الحماية. والواقع أن الدولة غريبة عنه وتضطهده، والمجتمع المدني، حيث لا اعتراف إلا بالاعنياء وذوي السلطة ولا احترام إلا لهم، قد يضطهده بشكل مُماثل (شرابي، 1987). ويهتمّ خلدون النقيب بظاهرة الدولة التسلّطية في عدد من مؤلفاته، فبري أنها تنطبق على المنطقة العربية بأكملها، وربما على نطاق العالم الثالث كلّ. ويعرف النقيب الدولة التسلّطية بأنها الشكل الحديث والمعاصر للدولة المستبدّة كالإقطاعية والسلطانية والبيروقراطية، فتسعى «إلى تحقيق الاحتكار الفعّال لمصادر القوة والسلطة في المجتمع المدني وتحويل مؤسّساته إلى تنظيمات تضامنيّة تعمل كامتداد لأجهزة الدولة» (النقيب، 1987). ويشير بركات إلى أن الإنسان في المجتمع العربي يعيش الأحداث على هامش الوجود، لا في الصميم، مُستباحاً مُعرّضاً للمخاطر والاعتداءات (بركات، 2000). ويضيف شرابي: «نجد أن سلوك الفرد، في ممارسته العملية لا يكون أخلاقياً إلا داخل البنى الأولية (العائلة، العشيرة، الطائفة)، وهو يعيش، في معظم الأحيان، على نمط بعيد عن الأخلاق في المجتمع بصورة عامة» (شرابي، 1992). وهذا ما يشير إليه كونيل (Connell, 1995) بالذكورية النازعة إلى الهيمنة والتي يعرفها بأنها «مجموعة من الناس تحاول السيطرة عن طريق تعريفات إجتماعية للرجولة وإنتاج ذكوريّات نموذجية. وتقدّم الدكتوراة مضايي الرشيد مثلاً حياً على ذلك في مقالها «النظام السعوديّ ومعضلة الذكورية الخارقة»، الذي نشر في القدس العربي بتاريخ 05.02.07، وجاء فيه ما يلي: «يرى النظام السعودي نفسه كنظام ذكوريّ يحاول إثبات رجولته في طريقة تعامله مع المجتمع الداخلي والدولي والإقليمي، ويتضح هذا في استعراض المراسيم والطقوس السياسية التي تصوّر السلطة المذكّرة وكأنها المثل

الاجتماعي الأرقى لمفهوم الرجولة، حيث الوجاهة والأبهة والخيلاء، وتصبح صور الرجولة في هذه المحافل صورة مُحتكرة لعلية القوم الذين يملكون مادّتهم الخام والتي أهمّها القدرة الاقتصادية اللامتناهية، ما يخلق حال إحباط شديد في نفوس ذكور آخرين يقيسون رجولتهم بمقياس السلطة، وبما أنّهم لا يستطيعون مجارة الاستعراض اليوميّ الذي يجسّد معاني الرجولة يشعر هؤلاء بالتقاعس وعدم القدرة على الوصول ولو إلى بعض درجات الرجولة».

من الأهميّة بمكان هنا الإشارة إلى أنّ للفلسطينيين في إسرائيل سياقهم السياسي المختلف، فهم ينتمون في البُعد القوميّ إلى الشعب الفلسطيني، غير أنّهم لا يشاركون في صنع القرارات أو النضالات الموجهة إلى تحقيق الاستقلال الفلسطيني؛ لسبب مواظنتهم في إسرائيل. وفي المقابل، هم يعيشون على حافة المواطنة، ليس داخلها تماماً أو خارجها تماماً؛ لسبب تأسيسها على «المواطنة المُعرقنة» (Racialized Citizenship)، حيث تشكّل الدولة أداة لخدمة المصالح القوميّة اليهودية، باعتبارهم هدفها الحصريّ، وهي تستخدم من أجل ذلك العديد من الآليات لتطويع الفلسطينيين في إسرائيل والسيطرة عليهم، ويأتي ذلك، غالباً، على أساس مصالحهم الفرديّة والجماعيّة. من هنا، وفي هذا السياق، يتحوّل الفلسطينيون في إسرائيل إلى «استثناء مزدوج»، فهم استثناء الشعب الفلسطيني؛ لسبب مواظنتهم في إسرائيل، و«استثناء» المواطنة الإسرائيليّة كونهم ينتمون إلى الشعب الفلسطيني، ويعيشون على حافة المواطنة (المبتورة)، وعلى هامش الشعب الفلسطيني في حالة من البينيّة البنيوية (Structural Liminality) (دوم، 2004). من هنا، فإنّ العيش على الحافة البينيّة هو العيش بلا مركز، في واقع مليء بالغموض وبعدم وضوح الرؤيا، تتجاذب الفرد فيه رغبات وقوى تؤثّر في تصوّره لمكانته. أي في حالة الفلسطينيين في إسرائيل، يعيش الفرد بين رغبته في تحقيق هويّة تقف مواظنته (التي لم يخترها أصلاً)

حاجزاً أمامها. أو تحقيق مواطنته حيث يقف «عرقه» ودمه في وجهه. تفرز هذه الحالة مشاعر اغتراب عن الواقع وشعوراً بالعجز عن التحكم في المصير الجمعي أو الفردي، يرافقه، في كثير من الأحيان، عزوف عن العمل السياسي أو التسليم بالواقع والافتناع بعدم القدرة على التغيير، وأحياناً بعدم الرغبة في ذلك.

يشير كونيل (Connell, 1996)، في ما يتعلّق بتأثير الأوضاع السياسيّة والتاريخ السياسيّ على بلورة مفهوم الرجولة، إلى الدور الكبير الذي يلعبه الاستعمار بشكل عام، والاستعمار الاقتصادي الحالي للعلومة بشكل خاص، في بلورة الهوية الجنسويّة للفرد، وصقل الرجولة النموذجيّة الملائمة له. ويوضّح بركات (بركات، 2000) ذلك بأنّ المجتمع العربيّ، كوطن وكأمة، يعاني، أيضاً، حالة الاغتراب عن ذاته. لقد كشفت الانهزامات المتتالية (وخصوصاً الرضوخ تحت الاحتلال الغربي منذ نهاية الحرب العالمية الأولى التي شهدت انهيار الخلافة العثمانية وإقامة دولة إسرائيل على أنقاض المجتمع الفلسطيني، وحرب الخامس من حزيران/يونيو 1967، والحرب الأهلية في لبنان التي ثوّجت بحصار بيروت عام 1982، وحرب الخليج، واحتلال العراق)، كشفت هذه الانهزامات وغيرها عن عجز المجتمع في مواجهة التحديات التاريخيّة، وعن هشاشة الحركات السياسيّة والاجتماعية وفشلها في تحقيق برامجها. ويدّعي الباحث الأدبي جورج طرابيشي، من خلال تحليل الرواية العربيّة الحديثة (جورج طرابيشي، 1979)، أنّ الاستعمار الغربي أدّى إلى تغيير في نظرة المثقّف العربيّ إلى نفسه، حيث ذوت دونيّته أمام الغربي، ودفعت علاقات القوّة بين المستعمر والمستعمر، بين الشرق والغرب، المبنية على القوّة والسيطرة والمراقبة، الرجل العربي للنظر إلى مجمل العلاقات بين الثقافات كعلاقات بين الرجل والمرأة، أي علاقات مبنية على الخنوع والمعاناة. ووجد الرجل العربي المثقّف التعويض عن

الدونيّة أمام الثقافة الغربيّة في علاقته مع النساء. أي إنّ الرجل الشرقي الذي يعاني، بنظر نفسه، اللعنة الثقافيّة، يُعوّض عنها بتقوية القدرة الجنسيّة عنده. وبالتالي، فإنّه يستنسخ علاقات القوى بين المستعمر والمستعمَر إلى علاقاته مع النساء. وتشير جول بيت (Peteet, 2002) إلى أنّ العلاقة بين الظالم والمظلوم، في المجتمعات القابضة تحت حكم ظلم أو تحت استعمار، هي علاقة قوّة تتشكّل من خلالها الهويّة الجنسيّة، وهذا ما يؤكده كونيل (Connell, 1995) عندما يتحدّث عن تأثير الاستعمار في تغيير مفاهيم الذكورة المهيمنة وخلق أخرى ملائمة للسياق السياسي. وتشير الباحثة ذاتها في مقالها «الجنس الذكوريّ وطقوس المقاومة في الانتفاضة الفلسطينية الأولى» إلى كيفية تغيير مفاهيم الرجولة عند الرجال الفلسطينيين (في الضفّة والقطاع) نتيجة لممارسات التعذيب الإسرائيليّة، فأضفت علامات العنف على أجساد الشبان رمزاً للمقاومة والرجولة، ما أثر على علاقات القوى بين الأجيال، إذ انتقلت المركزية من الأب العاجز عن المقاومة إلى الابن، وتمثّل ذلك بجلوس الابن في الوسط رمزاً للاحترام والتقدير، وبرغبة المجتمع في أن يكون هؤلاء الأبناء وسطاء لحلّ المشاكل، وهي مسألة كانت مقتصرة على كبار السنّ فقط. وتشير بيت في مقالها، أيضاً، إلى أنّه في حين يعيد الضرب إنتاج الهوية الذكورية فإنّه، أيضاً، يُعيد إنتاج سلطة الرجل وهيمنته الفيزيائيّة في العائلة. ويمكن أن يُعاد توكيد علاقات لا متناظرة بين الجنسين نتيجة لتولّي الشباب مهمّة الرجال البالغين وسلطتهم، وهم يضلّعون بها في هذه الحالة من خلال طقوس عبور إلى الرجولة مُعمّدة بالعنف. وقد شكّت زوجات شابات وشقيقات بأنّ أزواجهنّ وأشقّاءهنّ يعوّدون من التحقيق والاعتقال بسطوة مُتجدّدة يعبّرون عنها في محاولات فرض السيطرة على حركاتهنّ. وكان الملابس ميداناً آخر للصراع حين كانت النساء يتعرّضن للضغط من أجل حملهنّ على التحدّب. وقالت زوجات وباحثات اجتماعيات إنّ العنف المنزلي في تصاعد، وإنّ بعض الرجال

الذين تعرّضوا للضرب والتعذيب يعودون إلى بيوتهم ويمارسون العنف بحق النساء (Peteet, 2002). ويشير بعض الباحثين إلى أنّ الاستعمار الغربي للعالم العربي والإسلامي هو أحد الأسباب لظهور الإسلام السياسي، ظاهرة التحدّب وتهميش دور المرأة. وكل ذلك من منطلق نبذ كل شيء غربي والتمسك بالهوية المهدّدة.

وفي سياق الحديث عن المجتمع العربي الفلسطيني داخل إسرائيل تكتب الناشطة النسوية عرين هواري في مقالها «رجال تحت الحكم العسكري»: «عاش ويعيش الفلسطينيون داخل إسرائيل حالة من عدم الاستقرار، ولا سيّما في فترة الحكم العسكري، حيث أدّت ممارسات الحكم العسكري القانونية ذات العلاقة «بالأمن» إلى اختزال مفهوم الرجولة عند الرجل الفلسطيني الذي عايش فترة الحكم العسكري بالقدرة على قضاء أبسط الحاجات المعيشية. أمّا على مستوى العلاقة مع السلطة، فقد تميّزت هذه الهوية الرجولية بالهروب من مواجهة السلطة، عملاً بالقول «الهرية تلتين المراحل». وتشير هواري إلى أنّه رغم زوال الحقبة التاريخية المذكورة إلا أنّ نتاجها لم يختلف، إذ إنّ الجزء الكبير من مشروع إنتاج «العربي في إسرائيل» أنجز في هذه الفترة، وهذا العربيّ ما يزال يرافقنا حتى اليوم (هواري، 2004).

مفهوم الرجولة

يتخذ مفهوم الرجولة حيزًا كبيرًا في العديد من المجالات الحياتية للإنسان: الإحساس، التفكير، اللغة، الخيال، السلوكيات، المحفزات، النشاطات والعمل، ولكن مع ذلك فهو صعب التعريف. وعند الرجوع إلى اللغة لتعريف هذا المصطلح نصل إلى جذر الكلمة «رجل»، وهي تعني في تعريفها «ذكر» (Gove, 1986)، وهذا بدوره لا يصور عمق مركبات الموضوع.

على مرّ السنين قام عدد كبير من الباحثين بدراسة إشكالية الرجولة والهوية الجندرية، وفي الإمكان تقسيم هذه الأبحاث إلى نوعين اثنين من الأبحاث التي تتمركز على طرفي سيرورة، أولها: الأبحاث التي أعطت تفسيراً جوهرياً، بما يعني أنّ الفروقات بين الرجال والنساء هي فروقات طبيعية، مولودة وقاطعة. وآخرها: الأبحاث التي أعطت تفسيراً بنيوياً لإشكالية الرجولة، وما بينهما من أبحاث ونظريات. سنقوم في هذا الفصل بسرد سلسلة من هذه النظريات، بدءاً بالنظرية البيولوجية والتي اقترحت تفسيراً جوهرياً للموضوع تصوّر به الرجولة ككينونة جسدية، وانتهاءً بنظرية التحليل الثقافي (Cultural analysis) المتأثرة بالنظرية النسوية، التي طرحت تفسيراً سياسياً بنيوياً، وهي تصوّر الرجولة كنتاج مجتمعي.

النظرية البيولوجية: تتعامل مع الإنسان كآلية عضوية، كنوع من الآلة مُرَكَّباتها الداخلية مولودة وثابتة. لذلك، ومن هذا المنطلق، فإنها تقرّ بوجود تطابق بين المصطلحين «رجولة» و«ذكورة». تميل النظرية المذكورة إلى المداولة والنقاش بالأجزاء الأساسية التي تميّز بين كينونة المرأة وبين كينونة الرجل، ألا وهي الهورمونات والجينات. ويندرج هذا هنا من حيث أنّ الذكورية تنبع من زوج الكروموزومات الذي شكله XY. لذلك، فحسب أصحاب

هذه النظرية، فإنّ العنف، العقلانية وعدم الوفاء لشريك واحد هي ناتجة عن كينونة بيولوجية، تصوّر نتائجها كطبيعية، ثابتة وغير متغيرة. ما يعني أنّ الظواهر ترتبط بنوع الجنس الذكوري عن طريق عوامل وتكوينات بيولوجية (Connell, 1995).

نظرية التحليل النفسي: مع أنّ نظرية فرويد تعتبر بيولوجية في روحها من ناحية المضامين ونوعية التفسيرات التي استعملت بوجود غرائز مولودة، جنسانية وعدوانية، إلا أنّ هذه البيولوجية غير موضوعة كشرط أساسي لتكوين الرجولة. حسب فرويد، الطفل ليس رجولياً أو أنوثياً، مغاير الجنس (Heterosexual) أو مثيل الجنس (Homosexual). إنّ الطفل، حسب رأيه، هو جنسيّ، ويصبح رجولياً نتيجة لتأثير الإطار العائلي (Freud 1953؛ Connell 1995). من هنا نرى أنّ فرويد منح أهمية كبيرة للغرائز المولودة، لكنه، في الوقت نفسه، منح أهمية للعائلة في التعامل مع هذه الغرائز وبلورة هوية الفرد. ويعني ذلك أنّ في هذه النظرية تركيزاً على الفرد، وعلى جسده وداخلياته، وعلى وضع جسديّ أساسيّ أطلق عليه فرويد تسمية «مزوج الجنس». لكن، مع ذلك، لا تتجاهل هذه النظرية تأثير البيئة. فنظرية التحليل النفسي تتوسّع نحو رابط أوسع هو العامل المجتمعيّ، لكنها تندحر ثانية لتعود إلى التركيز على العوامل الداخليّة النفسية. تتحدّث هذه النظرية، أيضاً، عن الرجولة كنتاج غرائز جسديّة وصراع داخليّ في نفس الإنسان. وعليه، إنّ الرجولة هي الأمور الداخليّة المبنية من نتائج الصراع في المرحلة التطويرية الثالثة، وعن طريق تقليد وتبني الرجولة الظاهرة أمام الطفل في هيئة أبيه (Edley & Wetherell, 1995). من هنا، إنّ الرجولة، حسب هذه النظرية، هي ناتج تمازج بين كينونة المبنى النفسي، الغرائز وتأثير البيئة. هذا القسم من النظرية يتمحور حول العلاقة القائمة بين الأشخاص وبشكل أقلّ حول الغرائز. لذلك، فهي تصف الرجولة

باعتبارها نتاج تفاعلات اجتماعية في البيئة المُصغرة، أي العائلة، وبشكل أقلّ من ذلك كنتاج بيولوجي. كما تولى هذه النظرية للعلاقة الأولى بين الطفل وأمه أهمية كبيرة في بلورة الشخصية الرجولية. فالأمّ موصوفة بأنّها تتصرّف بشكل يدفع ابنها إلى العالم الرجولي لاكتساب طابع رجولي، مثل الاستقلالية، بينما الابن من جهته يريد الأمّ، لكنّه كي يصل إلى تحقيق ذاته وبلورة هويّته فهو يضطرّ إلى الانفصال عنها، وهكذا يحصل الابن على تعريف رجولته من منطلق انفصاله عن الأمّ، والتقارب في ما بعد مع الأب. من هنا، إنّ الرجولة هي طابع داخلي، هوية شخصية تبلورت من خلال التاريخ الطفولي للذكر والمهمّات التطويرية المُلقاة على عاتقه، لسبب كونه ذكراً. مع ذلك، إنّ ميل نظرية التحليل النفسي إلى التعامل مع الرجولة كداخليّة وحتى كجوهرية، أكثر من كونها خاضعة لتأثير البيئة، في الإمكان ملاحظته في التعامل معها كطابع رجالي ثابت، ميّزه فرويد عن الأنثويّ بكونه أكثر فعاليةً، حزمًا، عدوانيةً، وتحصّرًا (Connell, 1995).

النظرية السلوكية: في حين قامت النظرية النفسية ومواصو طريقها بمناقشة الداخل، طرح التوجّه السلوكي العلاقة التداخلية بين الإنسان والبيئة من ناحية السلوكيات. وتبني هذا التوجّه فكرة «الإنسان كألة»، وأرفق للبيئة (وليس للفرد المُجهز بالغريزة والرغبة) القوّة في بلورة سلوكيات الفرد (McElvaine, 2001). حسب هذا التوجّه، الرجولة ليست جوهرًا بل نشاط، وسلوكيات. وهي موصوفة بكونها مكتسبة عن طريق عمليات التنشئة الاجتماعية، ونتاجة عن تفاعل اجتماعي، وليست ناتجًا عن البيولوجيا أو علم النفس.

تشمل التنشئة الاجتماعية المعايينة، التقليد، التلقين والتعلّم بهدف كسب التعزيز. من هنا، إنّ الرجولة، حسب هذه النظرية، تتبلور، أيضًا، خارج الدائرة العائليّة. وتحدث هذه البلورة في جيل متقدّم أكثر من الجيل الذي

تتناوله نظرية التحليل النفسي. إن الناتج النظري لهذا المنظور من الرجولة هو ما يُطلق عليه دور الذكور (Male Sex Role)، وهو يصف السلوكيات المعيارية، والعادية للرجل. لقد صوّرت الرجولة هنا كسلوكيات ذكورية تتميز بالعدوانية، الثقة بالنفس، الاكتفاء الذاتي، القوة الجسدية والنفسية، والاستقلالية. (Brannon, 1976). هذه النظرية تطوّرت في الجانب الإدراكي (Cognitive) الذي مكّن من وصف الإنسان بأنه قابل للتأثر من البيئة، إلى جانب كونه منشغلاً بتحليل المعلومات التي تصله منها. إن الجنس المخطّط (Gender Schema) هو مثال لنوع مبنى مُماثل؛ إطار يبني من خلاله الطفل عالمه الجنسي، وتثبيت استمرارها متعلّق بمبنى داخلي إدراكي (Bem, 1987). من هنا، ينظر إلى الرجولة، حسب المسلك الإدراكي، كوضع تشكّلت فيه هويّة نوع الجنس (gender identity). هذه الهوية هي ناتج عن عملية مسار إدراكيّ يشمل القدرة على تمييز بعض المؤثرات لنوع الجنس، تحليلها وإعطائها تعريفات كولد أو كبنت. هذه العملية تحصل بين جيل 2-4 سنوات. (Doyle, 1995). من الجدير ذكره أنه يُنظر اليوم إلى «دور الذكور» باعتباره غير قابل للتثبيت نظرياً، حتّى في إطار النظرية السلوكية. ويعود السبب في ذلك إلى أنّ هذه النظرية مُناقضة لذاتها، كونها تركز على كون الذكورة ككينونة ثابتة، في حين أنّ تصوّراتها الأساسية مبنية على إمكانية التغيير، وتعلّم سلوكيات جديدة، وليس الميول لأدوار جنسية موجودة في داخلنا. بالإضافة إلى ذلك، تتجاهل هذه النظرية العديد من المسائل التي تحتاج إلى تفسير. فحقيقة أنّ الكثير من الرجال لا ينطبق عليهم «دور الذكور» تشير إلى أنّ هذه النظرية لا تستطيع التمييز بين التعامل مع الموجود، الرجل الإنسان، وبين التعامل مع المرجو، النموذج الرجولي. كما أنّ هذه النظرية تتجاهل التغييرات والتأثيرات التي تحصل مع مرور الزمن ونتيجة تأثير الإطار الثقافي. (Connell, 1995).

النظرية السيكلوجية: ظهرت في السبعينات، وعارضت المصطلح «أدوار نمطية»، ونادت بإبطال ما يُسمّى بـ«الهوية الجنسوية»، ودعت إلى خلق مجتمع متكافئ. تناولت هذه النظرية جمهور الرجال والضغوط التي يتعرّض لها للانصياع لأدوار الجنسين ولقواعد الذكورة (كيف يجب أن يفكروا، يحسّوا ويتصرّفوا. حتّمهم على التفوّق. من المُفترض بهم أن يكبروا ليكونوا أقوياء، ومن غير المسموح لهم إظهار أيّ ضعف، فهم يُفضّلون، يُقدّرون ويُشجّعون أكثر، ويُتوقّع منهم أن يكونوا مستقلّين، متطلّبين وعدوانيين إلخ..)، وأثمان التوقّعات الاجتماعية منهم، والتي من المُمكن أن تُؤدّي إلى انعدام الثقة بهم، والنتيجة عن عدم قدرتهم على بلوغ الرجولة المرجّوة، ومجرّد التهديد بمثل هذا الفشل وحده كافٍ لتوليد انفعال وتوتّر داخليين يعبر عنهما عن طريق الخوف، العزلة، الغضب، معاقبة الذات وكراهية الذات والعدوانية عند الكثير من الرجال، خصوصًا عند الذكور الشبان، الذين تُؤثّر عليهم شكوكهم بشأن رجولتهم، وشعورهم بأنّها لا ترتقي إلى المستوى المتوقّع مُجمعيًا، سلبيًا على تقدير الذات لديهم، وقد يولّد الإحساس المذكور مشاعر رفض وفشل، ومن الممكن أن يُؤدّي في النتيجة إلى تشكّل صورة ذاتية غير صحيّة، ما يقود إلى سلوك مُعادٍ للمجتمع. وتتناول هذه النظرية الظلم الذي يعانيه الرّجال جرّاء الضّغوط الاجتماعيّة المُمارسة عليهم للانخراط في المجتمع الذكوريّ، لكنّها، في الوقت نفسه، تتغاضى عن عدم المساواة بين الرّجال والنساء، وعن موازين القوّة غير المنصفة، وعن مكاسب الرجال في مجتمع بطركيّ، إضافة إلى تناولها الموضوع بشكل عالميّ، وليس كنتاج اجتماعيّ تاريخي.

مقابل هذه النظريّات تأتي النظرية النسوية مُرفقة بنظرية التحليل الاجتماعي:

تشمل النظريّات النسوية شريحة واسعة من المجالات وهي الامتداد النظري

لأفكار وفلسفة الحركات النسائية المختلفة. كان الهدف الأساسي للنظرية النسوية في بداياتها هو أن تفسّر للنساء والرجال كيف تعمل طريقة التفكير المبنية على التمييز الجنسي (Sexist)، وكيف يمكننا مواجهتها وتغييرها (Hooks, 2000). تهدف هذه النظريات، بشكل عام، إلى فهم طبيعة «عدم المساواة بين الجنسين» (Chodorow, 1991)، وهي تميل إلى التركيز على أهمية الديناميكيات الموجودة في المجتمع وعلى بلورة مفاهيم مختلفة. على هذا الأساس، فهي تتعامل مع الرجولة كحقيقة متعلقة ليست بيولوجية أو مولودة. حسب هذه النظرية، تتبلور الرجولة عن طريق القوة الموجودة لدى الرجال مقابل النساء. ينظر التوجّه النسوي إلى مفهوم الرجولة كنوع من التحرك نحو القوة، السيطرة والاحتلال. الرجولة هي ناتج مجتمعيّ ليس متعلّقاً بجنس الفرد، المجتمع أو الثقافة. حسب هذه النظرية، إنّ الرجل هو الذي يشكّل هذه التعريفات لكي يبقى مُسيطرًا (Edley & Wetherell, 1995). بالإضافة إلى ذلك، فهي تدرك الدور الذي تلعبه النساء في تثبيت وتدعيم هذا النظام، بحكم كونهنّ مُنصاعات لهذا النظام ومتطلّباته، وتضيف: «إنّ تربيتنا كنساء، والمبنية على نمط تفكير النظام البطرقي، علّمتنا أن نرى أنفسنا في مركز أدنى من الرجال، وأن نرى أنفسنا كأثنا موجودات كل الوقت في تنافس مع بعضنا البعض على موافقة النظام البطرقي». (Hooks, 2000).

حسب النظريات النسوية فإنّ الرّجال كمجموعة هم الراحون الأساسيون من النظام البطرقي، منطلقين من كونهم أرفع وأسمى من النساء، وأن عليهم السيطرة عليهنّ وحكمهنّ. لكن، مقابل هذه الامتيازات ثمة ثمن. مقابل كلّ الأفضليّات التي يحصل عليها الرجال من النظام البطرقي فإنّهم يضطرونّ إلى السيطرة على النساء، استغلالهنّ واضطهادهنّ للحفاظ على هذا النظام. ويطراف ذلك مع استخدام العنف، أحياناً. إنّ غالبية الرجال تجد صعوبة في أن تكون بطرقيّة. والعنف ضد النساء يزعج معظم الرجال،

حتى أولئك الذين يستعملون العنف من بينهم. لكنهم يخافون التخلي عن الامتيازات، ويخشون مما يمكن أن يحصل لعالمهم المعروف في حال تغيّر النظام البطرقي. لذلك، يرى هؤلاء أنه من الأسهل بالنسبة إليهم أن يدعموا السلطة الرجالية، بشكل غير مباشر، حتى لو كانوا يُدركون في دواخلهم أنها غير منصفة. إنّ الرجولة البطرقيّة تشجّع الرجال على أن يصبحوا نرجسين بشكل مرضي، وأن يكونوا كالأطفال، وأن يطوّروا تعلقًا سيكولوجيًا نفسيًا بامتيازات حتى لو كانت متعلّقة، والتي يحصلون عليها فقط لأنهم ولدوا ذكورًا. إنّ رجالًا كثيرين يخافون من أن يؤدّي إنقاص هذه الامتيازات إلى تهديد حياتهم بشكل فعلي، وذلك لأنهم لم يُبلوروا لأنفسهم هويّة داخلية ذات معنى.

نظريّة التحليل الثقافي: هي نظرية ذات منظور نسويّ تتركز في الثقافة، الإطار الواسع الذي يحوي الفرد (Seidler, 1989)، وهي تنظر إلى الرجولة كنتاج اجتماعي وتاريخي، يضمّ في داخله ارتفاعات وانخفاضات وصدّامات مع مؤسّسات مختلفة. ويضيف كونيل أنّ مفهوم الرجولة متعلّق بالهوية الجنسية، وعليه لا يمكن فهم الهوية الجنسية إلا من خلال تفاعلها مع الطبقة والعنصر والقومية والموقع في النظام العالمي، أي أننا لا نستطيع دراسة الرجولة (الهويّة الجنسيّة) من دون دراسة السياق الاجتماعي الذي تتبلور من خلاله تلك الهوية. ويتكوّن هذا السياق في فضاء تاريخي، سياسي، قانونيّ محدد، وبالتالي فلا مكان للحديث عن إنشَاء هويات في معزل عنه. بالإضافة إلى ذلك، ينظر إلى مفهوم الرجولة باعتباره مفهومًا متعلّقًا بموازين القوى في المجتمع، وبما أنّ موازين القوى متغيّرة، فهو متغيّر وفقًا لها، ومن فترة إلى فترة ومن مجتمع إلى مجتمع. تحدث على الساحة الثقافيّة العديد من الصراعات على كسب الحقّ لبلورة الرجولة، فهناك من يدّعون أن ناتج هذا الصراع هو الرجولة المقبولة والمُفضّلة في المجتمع، (Edley & Wetherell, 1995)، والتي تُدعى الهيمنة الذكورية (Hegemonic)

(Masculinity)، وهي حسب كونيل (Connell, 1995)، مجموعة من الرجال تُحاول السيطرة عن طريق إنتاج ذكورة نموذجية مع الذكر، ما يعني أنه حتى الرجولة المهيمنة قابلة للتغيير بتأثير المجتمع والسياسة.

يرى هذا البحث في الرجولة مفهوماً متأثراً تاريخياً وثقافياً، إضافةً إلى كونه متغيراً ومرتبلاً بعلاقات القوة، كما أشير إليه في نظرية التحليل الثقافي. لذا، نرى أن ثمة إمكانية لتغيير هذه المفاهيم نحو بناء مجتمع خال من علاقات القوة بين الرجال والنساء، وبين الرجال أنفسهم، على حدّ سواء. لكن، بالإضافة إلى ذلك، نرى، أيضاً، أن ثمة أهمية كبرى للنظرية النسوية التي تناولت علاقات القوة، وللنظرية السيكلوجية التي تطرقت إلى الوعي للأثمان التي قد يدفعها الرجال مقابل الامتيازات التي يحصلون عليها، وهذا ما يجعلنا نعي أننا نسعى، من خلال عملنا مع الرجال، إلى التأكيد على أنّ المشروع النسويّ قد يحرّر الرجال من هذه الأثمان.

منهجية البحث وأدواته

يهدف هذا البحث، الذي اعتمد في الأساس على منهجية بحثية نوعية متعدّدة، إلى فحص مفهوم الرجولة المثبع في المجتمع العربي الفلسطيني في إسرائيل، وذلك من خلال تتبّع المواقف والسلوكيات التي تمّ التعبير عنها في المقابلات المفتوحة والنقاشات ضمن مجموعتين بُرّيتين مختارتين، بالإضافة إلى الاستناد إلى نتائج ورشة عمل شاركت فيها إدارة، موظّفات ومتطوّعات جمعيّة «نساء ضد العنف»، تحت عنوان «الرجولة والذكورة وحوارات أنثويّة»، وكانت قد عمدت إلى بحث مفهوم الرجولة في ظلّ الفكر النسويّ.

مجموعات بُريّة

قُمنّا بتشكيل مجموعتين بُرّيتين: **الأولى** لرجال ذوي مفاهيم تختلف عن تلك السائدة في المجتمع، متحررة قدر الإمكان من المفاهيم الذكورية المهيمنة، منصفة نحو النساء ودورهنّ في المجتمع، على مستوى الموقف المُعلن والموقف المُمارس؛ **والثانية** لرجال أصحاب مفاهيم مشابهة لتلك السائدة في المجتمع. وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ هذه التعريفات غير جازمة، وقد أوردناها حسب هذا التقسيم الحادّ بغية التوضيح لا أكثر. خلال مراحل البحث، عرّفنا الرجال في المجموعة الأولى بأنهم رجال «**قطعوا شوطاً**»، وأمّا

الرجال في المجموعة الثانية فعرفناهم بأنهم «رجال عاديون أو لم يقطعوا شوطاً». وكان هذا التقسيم بناءً على تقديرنا الشخصي، ونحن لا ندعي الموضوعية هنا.

يجب أن نشير إلى أنه لم يكن من السهل علينا تعريف المصطلح «قطعوا شوطاً». ماذا نعني به؟ وما هو مدى التغيير الذي يجب أن يحصل لنقرر إذا كان الفرد قد مرّ مرحلة ما أم لا، وما هي هذه المرحلة ومن يقرّها؟ كيف نقرر إذا كانت مفاهيمه فعلاً منصفة تجاه النساء، ولم تكن مجرد غطاء؟ لقد تمّ طرح أسئلة عديدة من هذا النوع ولم نتمكّن من إيجاد حلول لها. في النهاية، ولغرض متابعة البحث، قمنا باختيار الرجال الذين عرفوا بأنهم «قطعوا شوطاً» على أساس معرفتنا الشخصية بهم وبآرائهم، من خلال عملنا المشترك في النشاط النسوي والاجتماعي، كما قمنا باختيار الرجال الذين عرفوا بأنهم «لم يقطعوا شوطاً»، وهم رجال متوسطون من المجتمع ويشكلون شريحة معينة منه، بناءً على معرفتنا الشخصية بهم وبآرائهم، أيضاً. وبسبب ضبابية التعريفات، أخذنا بالحسبان إمكانية وقوع إشكالية واختيار شخص غير ملائم لمجموعة معينة، انطلاقاً من فكرة أن الخطأ يمكن أن يحدث ويحفّز عمل المجموعات والنقاش في داخلها. نحن نقدر، أيضاً، أنه حتى الرجال الذي نعتقد أننا نعرفهم، قد يسلكون في الحيز العام الواضح للعيان بشكل لا ينسجم وسلوكهم في الحيز الخاص، ومع ذلك كان لا بدّ لنا من حسم هذا الموضوع على الشكل الذي ذكرناه.

من المهمّ أن نذكر هنا أنه بسبب طريقة اختيار المشاركين (القائمة على المعرفة الشخصية)، فإن نسبة الأكاديميين، وبالذات في مجموعة الرجال الذين «قطعوا شوطاً» كانت كبيرة جداً. نحن نوصي باتباع طريقة تجنيد أخرى، في أبحاث قادمة، تجنّباً لهذه الإشكالية.

1. المجموعة البؤرية الأولى (الرجال الذين قطعوا شوطاً):

تشكّلت هذه المجموعة من 6 مشاركين. معدّل الأعمار فيها هو 38 سنة، وجميعهم من الأكاديميين. أربعة منهم عازبون. واحد من المتزوجين فقط لديه أولاد. جميعهم من سكّان منطقة الشمال. أربعة منهم يسكنون في المدينة، أمّا الآخرون فيسكنون في قريتين مختلفتين.

من الأهمية بمكان هنا أن نشير إلى أنّ نسبة الاستجابة لدعوتنا من المشاركين كانت قليلة، إذ دُعي لهذه المجموعة 18 شخصاً، ولم يشارك منهم سوى الثلث. وبسبب الصعوبة التي سبق ذكرها في ما يتعلق بتعريف المصطلح «قطعوا شوطاً»، فإنّ المدعويين كانوا إمّا على أساس المعرفة الشخصية أو من ناشطين في مجال العمل الاجتماعي والنسوي، ولهذا فقد كانوا جميعاً من الأكاديميين (كما ذكرنا سابقاً)، وقد تمّت دعوتهم هاتفياً، وأبلغوا مسبقاً بهدف المجموعة. رغم تلك المعطيات المذكورة كلّها، إلاّ أنّه لم يشارك في المجموعة سوى 6 أشخاص، ويعود ذلك إلى أسباب عدة:

1. الأمر متعلّق بالشخص نفسه، أي أنّه لا يشارك في أيّ نشاطات من هذا القبيل، وحتى لو دُعي إلى أية مجموعة أخرى فإنّه لن يشارك.
 2. عدم المشاركة بسبب حساسية الموضوع المطروح، صعوبة التعامل معه وعدم الرغبة في التحدّث فيه، رغم كونهم ناشطين في العمل النسوي أو الاجتماعيّ.
 3. الإحساس بالتهديد بسبب طرح الموضوع من قبل جمعيّة نسوية، رغم كونهم ناشطين في العمل النسوي، بالإضافة إلى عدم رغبتهم في الانكشاف خارجياً، وهذا يؤكّد ما سبق أن أشرنا إليه من أنّه حتى الرجال الذين نعتقد أنّنا نعرفهم قد يسلكون في الحيّز الواضح للعيان بشكل لا ينسجم وسلوكهم في الحيّز الخاص.
- من المهمّ أن نشير هنا إلى أنّ التركيبة الاجتماعيّة للاثني عشر شخصاً

الذين لم يشاركونوا شبيهة جداً بمن شاركوا من ناحيتي السنّ والمهنة، فهم أيضاً أكاديميون. لكنها مختلفة من حيث منطقة السكن والحالة الاجتماعية، إذ إننا من أجل الحصول على معلومات أدقّ حاولنا انتقاء رجال من مناطق وخلفيات شخصية مختلفة. لكن، في الواقع، كان عدد المشاركين من سكّان المدن ومن غير المتزوجين أكبر، وهو عامل من الممكن أن يؤثر على النتائج ويعطيها صبغة مختلفة.

سعيًا في المرحلة الأولى من العمل مع هذه المجموعة إلى استبيان المصطلحات، المفاهيم، المضامين والمشاعر المرتبطة لدى المشاركين بمعنى الرجولة بشكل عام، وبمعنى رجولتهم هم بشكل خاص. كان هدفنا في هذه المرحلة إعطاء مساحة واسعة للمشاركين للارتباط بمعنى الرجولة كيفما يرونه، وأن يتحدثوا عنه من الزاوية التي يودّونها، وذلك لتوسيع مجالات النظر وإمكانيات المعاينة، لكن بأسلوب حذر لا يحدّد ما هو «صحيح» أو «شرعيّ»، لضمان راحة وأمان المشاركين داخل المجموعة. إضافة إلى ذلك، حاولنا أن نفحص لدى المشاركين كيف تنطبق المعاني التي عبّروا عنها على حياتهم اليومية من حيث الممارسة والسلوك، وهل هناك صعوبات معينة في ممارسة «رجولتهم»؟ وهل توجد مكاسب؟ وما هي الدوائر التي تؤثر على نهجهم كرجال في حياتهم اليومية؟

أمّا في المرحلة الثانية فقد حاولنا الوقوف، من خلال السيرة الذاتية لكل واحد من المشاركين، عند التشكّل الشخصي لرجولة كلّ واحد منهم، وإبراز محطّات معيّنة فيها، لنرى ما إذا كانت هناك عوامل مشتركة تساهم في تصميم رجولة الشاب العربي. وكذلك فقد هدفت هذه المنهجية إلى «وضع» الرجال في حالة تفاعل شخصي مع أنفسهم، وبالذات مع الرجال الآخرين، وذلك لفحص مدى إقبال وتفاعل الأفراد داخل المجموعة مع حالة مكاشفة

شخصية أمام رجال آخرين، وما هي طبيعة هذه المكاشفة (عقلانية، حسية...)، وإلى أي مضامين تستند، وهل هناك، مثلاً، إشراك للآخرين في حالات الضعف، وهل هناك حديث عن المشاعر، فمن خلال ذلك يمكن الوقوف على مدى تأثير منهجية العمل على انفتاح/انغلاق مجموعات الرجال.

2. المجموعة البؤرية الثانية (رجال لم يقطعوا شوطاً):

تشكّلت هذه المجموعة من 5 مشاركين. معدل الأعمار فيها هو 43 سنة. ثلاثة منهم من الأكاديميين. ثلاثة منهم متزوجون ولديهم أولاد. اثنان عازبان. جميعهم من منطقة الشمال. ثلاثة منهم يسكنون في مدينة، واثنان في قريتين مختلفتين.

نشير هنا أيضاً إلى أن نسبة الاستجابة لدعوتنا كانت قليلة جداً مقارنةً بعدد المدعوين الذين فاق عددهم عشرين شخصاً. لقد حاولنا قدر المستطاع الإنصاف بين نسبة الأكاديميين ونسبة غير الأكاديميين، ولهذا السبب، قرّرنا تأجيل موعد المجموعة أسبوعاً، لكن، للأسف، بقي عدد المشاركين شحيحاً. وهذه الإشكالية، كما ذكرنا سابقاً، قد تكون متعلّقة بالفرد نفسه، أو أنها ناتجة عن حساسية الموضوع وعدم الرغبة في الحديث عنه. والحديث هنا طبعاً عن مجموعة رجال تقليديين على غرار المجموعة الأولى التي كانت هناك صعوبة في تجنيدها هي، أيضاً.

كان الهدف من العمل مع هذه المجموعة هو فحص معنى الرجولة لديهم كما يرونه من خلال صفات الرجل ومزاياه. ومن خلال تقصي الأدوار التي يؤديها الرجل في المجتمع، ومحاولة الوقوف عند الفرق بين دور الرجال ودور النساء مع فحص العوامل التي تشكّل هذه الفروق في الأدوار بين الرجال والنساء (حسب رأيهم).

خصّصنا القسم الأول من اللقاء للخوض في الصفات/المزايا أو السلوكيات الخاصة بالرجل. أمّا في القسم الثاني فوقفنا عند الأدوار التي يقوم بها الرجال في الحياة الاجتماعية. في هذا القسم حاولنا أن نحص ما هي حدود المشاركين من حيث الأدوار التي يرونها للرجل، أي ما هي الأدوار التي ليس على الرجل القيام بها، حسب رأيهم، أو التي لا يستطيع الرجل أن يقوم بها، وذلك لاستبيان الفوارق بين أدوار الرجال وأدوار النساء، والوقوف عند المعتقدات السائدة والوعي الذي يساهم في تشكيل وتحديد هذه الأدوار المختلفة.

المقابلات المفتوحة

تم إجراء 10 مقابلات مع رجال من فئات اجتماعية مختلفة. في بداية البحث لم نخطّط لإجراء مقابلات فردية، لكن لما كانت الأسئلة المقترحة على مجموعة الرجال الذين «قطعوا شوطاً» ستتطرق إلى فحص أسباب تبني مفاهيم مغايرة للمعايير المجتمعية، فقد ساد الاعتقاد بأن غالبيتها ستتطرق إلى تجارب شخصية وشخصيات مرت في حياة كل شخص. من هنا ولتخوفنا من عدم الانفتاح ضمن المجموعة قرّرنا عقد مقابلات شخصية. ومن أجل المحافظة على مصداقية هذا البحث قمنا بإجراء مقابلات شخصية مع المجموعة الثانية من الرجال، أيضاً.

وُزعت المقابلات على النحو التالي:

1. 5 مقابلات مع رجال «قطعوا شوطاً». معدّل الأعمار هو 36.4 سنة. ثلاثة منهم من الأكاديميين. ثلاثة متزوجون، اثنان منهم مع أولاد. اثنان عازبان. جميعهم من منطقة الشمال. ثلاثة من سكان المدن، واثنان من قريتين مختلفتين.
2. 5 مقابلات مع رجال «لم يقطعوا شوطاً». معدّل الأعمار هو 41.8

سنة. اثنان منهم من الأكاديميين. ثلاثة منهم متزوجون مع أولاد، واثنان عازبان. أربعة منهم من منطقة الشمال وواحد من منطقة المثلث. جميعهم من سكان المدن.

جرت المقابلات التي تراوحت مدّة الواحدة منها بين 45-60 دقيقة في البيئة الطبيعية للمشاركة. من الجدير بالذكر أنه لم يكن من السهل تجنيد رجال للمقابلات الفردية، وقد تم رفض العديد من التوجّهات من قبل بعض الرجال، رغم أنّ اختيار الأشخاص للمقابلات الفردية كان، أيضًا، على أساس المعرفة الشخصية. هذه المعلومة من الممكن أن تفسّر سبب كون القسم الأعظم من مجموعة الرجال الذين «قطعوا شوطًا» من الأكاديميين، والعكس صحيح. أضف إلى ذلك أنّ بعض المشاركين في مجموعة الرجال الذين قطعوا شوطًا شاركوا، أيضًا، في المجموعة البؤرية، وبسبب مشاركتهم الفعّالة هناك فقد تمّت دعوتهم إلى المقابلات الفردية، أيضًا، لبحث الموضوع معهم بشكل أعمق.

ورشة العمل

تمّت إقامة ورشة عمل بمشاركة 30 امرأة من إداريات، موظفات ومتطوعات الجمعية كجزء من البحث الداخليّ في الجمعية. خلال الورشة، قُسمت المشاركات إلى 5 مجموعات مكوّنة من 6 أشخاص، وُزّع على مجموعة المشاركات حوار دار بين امرأة وشخص آخر غير معروف الجنس حول الذكورة، الأنوثة والرجولة، ثمّ طُلب منهنّ بعد ذلك التناور في الموضوع، إبداء رأيهنّ الشخصي، والوصول إلى رأي متفق عليه بين الجميع حول مفاهيم الرجولة والذكورة، ثمّ جرى نقاش مشترك لجميع المجموعات.

تحليل النتائج

في هذا الفصل سوف نحاول شرح، تحليل وربط نتائج كل من المجموعتين البؤريتين، المقابلات الفردية وورشة العمل التي ذكرت سابقاً بعضها ببعض. بالإضافة إلى ذلك، سوف نحاول تدعيم المواد بنصوص أدبية وأبحاث تطرقت للموضوع. من الجدير ذكره أن تحليلنا للنتائج يعتمد، في أساسه، على النظريات ذات المنظور النسوي، وبالذات على النظرية الثقافية التي تنظر إلى مفهوم الرجولة كنتاج اجتماعي، ثقافي، تاريخي وسياسي يضم في داخله ارتفاعات وانخفاضات وصدامات مع مؤسسات مختلفة، إضافة إلى كونه مفهوماً متغيراً من حقبة زمنية إلى أخرى ومتعلقاً بموازين القوة في المجتمع. بعد معاينة نتائج أدوات البحث المذكورة برز عدد من النقاط الأساسية التي سنتطرق إليها ونتناولها بالتحليل:

1. **المجتمع العربي**، تأثيره على الأفراد في داخله، مكاسب وأثمان.
2. **مفهوم الرجولة**، تعريفه، والعوامل التي تساعد على بلورة هذا المفهوم.
3. **مفهوم القوة**، القوة الجسدية وعلاقتها بالرجولة.
4. **أن أكون رجلاً**، رجولة، ذكورة، أنوثة، ومسألة الفروقات بين الجنسين.
5. **تأثير الأوضاع الأمنية والسياسية والمعتقدات الدينية على بلورة مفهوم الرجولة.**
6. **أسباب تبني مفهوم رجولة مغاير للمعايير المجتمعية**

المجتمع العربي

عندما سُئل أحد المشاركين كيف يرى المجتمع العربي، أجاب: «المجتمع العربي فيه تفاوتات مخيفة»، ما يعني أن هناك فوارق كبيرة بين الأفراد في كيفية تعاملهم مع الأمور وتقبلهم لها، وفي المنظور الذي ينظرون من خلاله إلى المجتمع. ولقد لمسنا هذا الأمر في تعليقات المشاركين والمشاركات في جميع المجموعات، إذ طرح كلّ منهم إشكالية المجتمع العربي من منظور مختلف، من وجهة نظره. قسم منهم طرحها من منظور المرأة والعلاقة بين الجنسين. وطرحها آخرون من منظور السياسة والدين. وآخرون من باب التسلسل التاريخي الحضاري والاجتماعي. من المهم أن نذكر أنه رغم هذه التفاوتات فقد برز، أيضًا، العديد من النقاط المشتركة التي تميّز المجتمع العربي بشكل عام، والتي أشار إليها المشاركون، لكن هنا، أيضًا، رأينا أن كلاً منهم يرى تأثير هذه النقاط على الأفراد في المجتمع بطريقة مختلفة. وكلّ منهم يرى الإيجابيات والسلبيات في المجتمع، ويعطي تفسيراً لها من النقطة التي هو موجود فيها ومن الخلفية التي جاء منها، علمانية كانت أم دينية.

اتفق الجميع على أن المجتمع العربي هو مجتمع ذكوري، بطرقيّ. الرجل هو الذي يتخذ القرارات في هذا المجتمع. وقد ورد ذلك في المصادر الأدبيّة: «المجتمع العربي هو مجتمع نظاميّ ذكوريّ مبنيّ على تقسيمة مجنسة للحيز الاجتماعي، حيث يتمّ من خلاله تقسيم الحيز الاجتماعي إلى حيز عام، ذكوري، وحيز خاص، أنثويّ. (Rosaldo, 1974)

خلال مراجعة النتائج رأينا أن المفهوم «مجتمع ذكوري بطرقي» يولّد نوعين من ردود الفعل المتعلقة بخلفية المشارك، كما ذكرنا أعلاه، إذ أن جميع

المشاركين في المجموعة التي عرفناها بأن أعضائها «قطعوا شوطاً»، طرحوا ذلك كإشكالية سلبية، وعبروا عن سخطهم، وانتقدوا مفاهيم المجتمع البطركي الذي يكرّس استعلاء الرجل على المرأة، وقد عبّر أحد المشاركين في المقابلات عن ذلك بقوله:

«المجتمع العربي هو مجتمع بطركي والذي هو استعلاء الرجل وديوية المرأة، كبت، حصار».

ويضيف قائلاً:

«البيئة إلي إحنا عايشين فيها ناتجة عن نقطة انطلاق بطركية، إحنا عايشين في قوالب، قوالب للرجال وأخرى للنساء وكأن هذه القوالب لا تخطئ».

وأضاف آخر:

«أنا اشتغلت وعشت بكثير قري بفترة البنك، وأنا أشتغل موظف وأستقبل ناس وزلام مع نسوانهن، عالم ثالث، الوضع صعب كثير، تعالي يا مرة، روجي يا مرة، فالوضع مزري».

وفي حين عبّر أغلب الرجال من المجموعة التي عُرّفت بأن أعضائها «لم يقطعوا شوطاً»، بخلاف المجموعة التي أعضاؤها «قطعوا شوطاً»، عن الموضوع كأمر طبيعي، مولود، متعلّق بالخلق وبثقافة المجتمع التي تعطي في أحكامها امتيازات واضحة وغير مبرّرة للرجل. وقد أضافوا أن هذا النوع من المجتمع لا يمكن تغييره. هكذا كان وهكذا سيكون، ولم يطرح هذا الأمر كإشكالية يجب نقدها؛

«يوجد سنّة، أشياء عقائدية، الله خلق الإنسان ولكل منا يوجد دور

محدد، للمرأة دور محدد من قبل الخلق، يوجد سنّة لا تتغير»،

وأضاف آخر، مشارك في المجموعة البؤرية التي لم تقطع شوطاً بقوله:

«توجد ثقافة مجتمع، أنماط سلوكية معينة للذكر وأخرى للإنتى، شئنا

أم أينا، حتى في أبسط الأشياء، الصعوبة ليس العمل، لكن توجد ثقافة مجتمع، الرجل شوارب، أوامر»

هذه المقولة تطرح عدة علامات استفهام حول الامتيازات المعطاة للرجل نتيجة لكونه رجلاً، فالذي يقوله المشارك لكن بكلمات أخرى أن الصعوبة ليست بعمل الشيء إنما بالتفكير بعمله، توجد ثقافة مجتمع، امتيازات معطاة للرجل (أو طبعاً توقّعات منه، لكني لا أريد أن أدخل في هذه الإشكالية الآن)، والتي لا يريد التنازل عنها في اللاوعي، بحجة ثقافة المجتمع. وهذا ما تشير إليه هوكس: «الرجولة البطركية تشجع الرجال على أن يصبحوا نرجسيين بشكل مريض، أن يكون كالأولاد، وأن يُطوّروا تعلقاً سيكولوجياً نفسياً في امتيازات حتى لو كانت متعلّقة، والتي يحصلون عليها فقط لكونهم ولدوا ذكوراً. إنّ الكثير من الرجال يخافون من أن يهدّد إنقاص هذه الامتيازات حياتهم بشكل فعلي، وذلك لأنهم لم يُبلوروا لأنفسهم هويّة داخلية ذات معنى (Hooks, 2000).

في المقابل، اتفق جميع المشاركين على أنّ المجتمع العربي في مرحلة تغيّر مستمرّة. وقام المشاركون في مجموعة الذين «لم يقطعوا شوطاً» بطرح ذلك من باب مكانة المرأة والحرية المعطاة لها:

«المجتمع العربي في مرحلة تغيير بالذات في كل ما يتعلق بوضعية المرأة في المجتمع، قاعد كثير ينفّث، الصبية صار إليها موقف، صارت تقدر تطلع، تشتغل، تصاحب إلخ... المرأة عم توخذ أكثر حرية، وكمان إنه الشاب عم يعطيها هاي الحرية التي تستحقها، مش على خاطرها لأنها عم تثبت إنها موقع ثقة وقادرة على إنها تحقّق ذاتها».

وقد أضافوا أنّ لهذه التغييرات تأثيرات إيجابية وأخرى سلبية:

«للتغيّرات في المجتمع تأثيرات سلبية وأخرى إيجابية. الإيجابية

هي « أن المرأة بدأت تخرج إلى العمل، بدأت تحقّق ذاتها»، والسلبية،
« بسبب الحرية المعطاة، النساء بدأن يعملن أشياء غير مقبولة على
المجتمع».

وهذا ما تدعمه أبو النجا بقولها أنّ اللبس والعمل لم يكسبا المرأة استقلالاً وحرية
بينما الرجل مشكلته في الحرية التي تعتبر بالنسبة له غير مقبولة (أبو
النجاء، 2003).

أمّا مجموعة الرجال الذين «قطعوا شوطاً» فقد طرحت هذه الإشكالية من
باب أوسع تتخلّله تغييرات في الأوضاع السياسية، المفاهيم الاجتماعية،
تربية الأوالاد، الحرية الشخصية للرجال والنساء على حدّ سواء:

« كمجتمع نمّر في كثير من التغييرات وهذا يؤثر علينا». وأضاف
آخر: « لشباب اليوم الأطر أوسع، عندهن الإمكانية والحرية إنو يعملوا
الأشياء، رجال، نساء، شباب بنات، إحنا في وقتنا كنا مقيدين أكثر»،
وعبر آخر «نحن موجودون في مرحلة انتقالية ما بين الانتماءات، المفاهيم
السياسية والاجتماعية وحتى في حياتنا اليومية بتربيتنا للأولاد»

أعضاء هذه المجموعة، وبخلاف مجموعة الرجال الذين «لم يقطعوا شوطاً»،
احترموا وأبدوا تفهماً للحرية الشخصية، لكن ظهر هنا عدم رضا واضح من
المجتمع ومن تركيبته البطركية:

«ما في أشي إلهي هو اجتماعي بحت إلهي هذا الجيل ماشي حسبها. ما
في صح أو غلط، كلّ واحد بتطلع على الأشياء بشكل ثاني ويعطيها
تفسيرات مختلفة»

«المجتمع العربي مجتمع ظالم، مجتمع ذكوري، الرجل هو المهيمن، المرأة
في منزلة أقل».

وهذا ما تدعمه (مقارنة بما ذكرته المجموعة السابقة) أبو النجا بقولها: «إنّ

مظاهر العصرية من التغيير في اللباس وخروج المرأة للعمل لم تغيّر حقيقة «وضع المرأة في المجتمع» (أبو النجا، 2003).

«المجتمع العربي يحوي قيود اجتماعية، عادات وتقاليد صارمة».

وأضاف آخر

«أنا قسم من مجتمع ولهذا المجتمع عادات وتقاليد، وبناء عليه هناك توقعات، وهذه التوقعات تفرض علي سلوكيات»

لقد أعطى المشاركون للعادات والتقاليد المتبعة في المجتمع وزناً كبيراً جداً. فكل من المجموعتين عبّرت عن هذه الإشكالية بشكل مختلف. المجموعة التي عُرفت بأن أعضائها «لم يقطعوا شوطاً» قالت بأنه توجد هناك عادات وتقاليد صارمة لا مجال للجدال فيها. أمّا مجموعة الرجال الذين عُرفوا بأنهم «قطعوا شوطاً» فقد وافقت على الشقّ الأوّل من ذلك الرأي، لكنها ترى حاجة إلى كسر هذه القيود التي هي، حسب رأيهم، ظالمة وغير منصفة، وذلك من أجل الوصول إلى مجتمع أفضل.

إضافةً إلى ذلك كانت في كلتا المجموعتين موافقة على أنّ هناك ثمناً يدفعه كل من يخرج عن هذه القوانين الاجتماعية المتبعة. وقد عبّر الرجال الذين «لم يقطعوا شوطاً» عن مخاوفهم من الأثمان التي من الممكن أن يدفعوها، والتي نراها بمثابة رادع؛

«البيئة التي تريت فيها لها تأثير على تصرفاتك واتخاذك للقرارات،
وانها لديها توقعات واضحة يجب أن يقوم فيها الشخص وإذا لم يقم بها
فهو ليس رجلاً في نظر المجتمع».

وأضاف آخر:

«زي إي رجل عربي عندي تقاليد وعادات، أي شيء خارج عن العادات
والتقاليد ينقص من رجولة الشخص، لأنه غير جلده، لأنه أتبع طريق غير

متقيدة بالعادة، ممنوع تغيير العادات والتقاليد، « كل شيء غريب عن العادات والتقاليد ينتقد حتى من أزدل الناس ».

هنا لاحظنا المخاوف من أن يشكك المجتمع في كونه هويته الأساسية، ورجولته، وهو ما يشكل رادعاً أساسياً بالنسبة له حتى من محاولة فكّ هذه القيود، وهذا يعطينا صورة واضحة عن مدى قوّة تأثير المجتمع على سلوكيات الأفراد التي تجعله يعيش في حالة امتحان قاسية مهدّدة لكيانه. وأحد الأسئلة المطروحة هنا، والتي سنحاول أن نستقيها من هذا البحث هو: ما الذي حفّز مجموعة الرجال الذين «قطعوا شوطاً» على كسر هذه القيود والتحرّر (النسبي) من هذه المخاوف؟ ماذا عن هذه الأثمان؟ وكيف نستطيع تحفيز هؤلاء الرجال على كسر هذه القيود؟

من المهمّ أن نذكر هنا أنّه لم يكن هناك أيّ مانع لدى المجموعة التي لم تقطع شوطاً في القيام بأمر لا تعتبر، اجتماعياً، من واجب الرجال ما دام المجتمع الخارجي لا يراك:

«مسح البيت في الداخل لا يراه أحد عندما يمسخ لكن في الخارج يروه

يعلق الغسيل وهذا يسبب إحراج، لان الرادع الاجتماعي في القضية مهمّ

جداً.»

وهذا ما يشير إليه هشام شرابي بقوله: «إنّ الطفل العربي يتلقّى تربية تجعله يشعر بالخجل أكثر ممّا يشعر بالذنب، فالدافع إلى الخجل هو أنّ الآخرين يشاهدون ما ارتكبه من عمل سيء، لا لأنّه يشعر داخلياً بالندم على ذلك العمل السيء حاكماً على نفسه كيف يجب أن يحكم. في شروط تربوية كهذه تنعدم القدرة على نقد الذات وإدانتها فينشأ مقابل ذلك مجرد ردّ فعل للضغط والنقد الاجتماعيين. إنّ الشعور بالخجل يتكوّن بتأثير ما يتصوّره الفرد عن رأي الآخرين فيه أكثر ممّا يتكوّن بسبب رأيه هو بنفسه (شرابي، 1987). ويضيف بقوله إنّّه من الناحية العملية فالعيب الذي يشعر به الفرد العربي هو «ما يقوله عنه الناس»، بمعنى أن لا عيب في ما لا يراه الناس

وما لا يسمعونه.

من هنا نستطيع أن نستنتج أننا إذا استطعنا تغيير المفاهيم السائدة في المجتمع فإننا سنتمكن من تغيير الأفراد، وهذا يحدّد أنّ مشكلة الحركات النسوية ليست الرجل بل المجتمع البطرقي، المُكرّس الرئيسيّ للأدوار النمطية وعدم المساواة، والذي يؤثّر بدوره على النساء، أيضاً، كما سنرى لاحقاً.

أمّا مجموعة الرجال الذين «قطعوا شوطاً» فقد قسمت الأثمان إلى نوعين:

1. الأثمان التي يدفعها الرجال بسبب كونهم رجالاً في مجتمع بطرقيّ ظالم؛

«المجتمع يفرض على الرجل أموراً لا يفرضها على المرأة، هو متوقع منه أن يجد الحلول ومطلوب منك أن تعطي الأجوبة، بالإضافة إلى أنه يفرض عليه أن لا يعبر عن مشاعره، لذا فإنّ الرجل مسكين، لأنّه محروم من التعبير عن مشاعره».

هؤلاء المشاركون عندما تحدّثوا عن التوقّعات الخارجيّة من الرجل (الزوجة، الجيران، العائلة، وخصوصاً المجتمع)، برزت لديهم مشاعر الضغط الذي يشعرونه كرجال بسبب التوقّعات التي تتوقّعها منهم البيئة المحيطة. هذه التوقّعات هي بمثابة مصدر ضغط بالنسبة لهم كرجال لأنّها لا تتيح لهم فرصة أن يكونوا ضعفاء أو خائفين، وعليهم أن يجدوا دائماً الحلول للمشاكل التي تواجههم وأن تكون في جعبتهم الإجابات الصحيحة لما يدور حولهم. وقد برز ذلك، أيضاً، من خلال ورشة العمل مع إدارة، عضوات وعاملات الجمعية، إذ عبّر بعض المشاركين عن ذلك بقولهنّ:

«توقّعات المجتمع من الرجل بأن عليه أن يكون كاملاً، عقلياً،

مسيطرًا، ولا يعبر عن مشاعره تجعله مسكيناً».

ضمن هذا المحور تحدّث بعض المشاركين عن تجارب مختلفة، في مراحل

حياتهم المختلفة، وعن الضغط والحيرة جراء توقعات البيئة المختلفة. وبعضها يعود إلى أيام الطفولة، في علاقاتهم مع بنات صفهم، والتوقع منهم أن يدافعوا عنهم وأن لا يظهر أمام زميلته في حالة ضعف.

« في أحد الأيام رجعت من المدرسة ماشياً مع إحدى بنات صفّي، وخلال عودتنا تعرّض لنا بعض أبناء الحارة. عندما رأيتهم قادمين احترت في أمري، ماذا أفعل؟ فما كان منّي إلا أن طلبت من البنت أن تسلك طريقاً آخر، تعذرت لها أنني سأغير طريقي لأفعل شيئاً ما. شعرت بالخوف والضغط لأنني كنت مضطراً أن أدافع وأن أتواجه معهم، كان الأمر مخيفاً فكنت مضطراً أن أجد حلاً لكي لا تراني مهاناً. اليوم أسأل لماذا على الرجل أن يأخذ المسؤولية؟ ولكن في النتيجة حافظت على رجولتي.. »
أو أن لا يبرز التعبير عن الألم وإظهار صلابه وقدره على التحمل أمام الوالد؛

«أذكر أنّه في جيل 16 كسرت يدي وكنت مع أبي لوحدي. أذكر تعابير وجهه والتي فهمت منها أنّ عليّ التحمل وممنوع أن أبكي وأعبّر عن ألمي الشديد»،

من الجدير بالذكر أنّ هذه الإشكاليّة لم تظهر سوى لدى شخص واحد من مجموعة الرجال الذين لم يقطعوا شوطاً، وتحديدًا في المقابلات الفردية، وقد تحدّث فقط عن كونه مظلوماً:

«الرجل مظلوم، إذا الرجل عيِّط فالمجتمع سوف يظلمه. الزله ممكن يعيِّط لخالوا أما بين الناس بهدلة»

وهذا ما تشير إليه فلاكس: «إنّ الرجال والنساء هم سجناء النوع الاجتماعيّ، بطرق مختلفة ولكن متشابكة، وحتى لو ظهر لنا الرجل في الكثير من الحالات بوصفه السجّان، أو على الأقلّ الحامي للنظام الاجتماعي الأبوي، فإننا يجب ألا نغفل عن حقيقة كونه محكوماً، أيضاً، بالدور الاجتماعي الذي أنيط به لكونه رجلاً». (Flax, 1990).

2. الأثمان التي يدفعونها لتبنيهم مفهوم رجولة مختلفاً عن السائد في

المجتمع:

في هذا النقاش انقسمت مجموعة الرجال الذين «قطعوا شوطاً» إلى شقين؛
الأول قال إنّ هناك أثماً حقيقيّة وقاسية:

«الثمن قد يكون نظرة مستهترة، قد يكون مقاطعة من نوع معين، صورة سلبية لدى الآخرين، محكوم لزوجته أو تصرف معين في الشارع - أن يمرّ بجانبك ولا يتكلم معك بسبب الصورة المأخوذة عنك» ،

أمّا الشقّ الثاني فقال إنّ هذه الأثمان ليست بهذه الحدة أو الصرامة، ومن الممكن التعامل معها، خاصة وأن الثمن الذي تدفعه المرأة لكونها امرأة أكبر بكثير؛

«لم أسمع عن رجل يقتل بسبب أنّ زوجته لبست تنورة قصيرة أو لانو نشر الغسيل، ولكن النساء يُقتلن، الأثمان الاجتماعية التي تدفعها النساء بسبب كونهنّ نساء أكبر بكثير من تلك التي يدفعها الرجال» .
ويضيفون قائلين إنّ المفتاح للتغلب على ردود فعل المجتمع السلبية هو القناعة الذاتية بأنّ ما تقوم به أنت هو الصحيح:

«مش مهم إيش الثمن ومش مهم إلي قبالي كيف بطلع علي أنا بحكي أو إذا عنده القناعة الذاتية زي ما أنا عندي كإنسان، كرجل، قناعة ذاتية إني لازم كإنسان أصل لوضعية معينة، وأن أستطيع أن أتعامل مع حالي، مع هاي القناعات، فأهون تصل وأهون تكسر قيود لأنك جاي من قناعة ذاتية» .

في النهاية، يمكن القول إنّ للتوقعات الاجتماعية منهم كرجال أثراً كبيراً على سلوكهم وعلى توقّعاتهم من أنفسهم، وكلّما زاد العمر، وتشكّل وعي مختلف عن التصوّر الاجتماعي العام للأمر، في إمكانهم الفصل بين ما يريدونه لأنفسهم وبين ما يريده المجتمع لهم. إلا أنّ هذا لا يزيل الضغط

الاجتماعي وتبعاته على مشاعرهم وسلوكهم. بناءً عليه، عبّر المشاركون عن إمكانية ممارسة «رجولة أخرى» في مدينة حيفا أكثر من ممارستها في ظروف قرية عربية تقليدية، أو في مدينة الناصرة التي لا يشعرون في أجوائها بالخصوصية، وحيث الثمن الاجتماعي المدفوع أكثر مقارنةً مع مدينة حيفا التي يمكن فيها ممارسة حياة انفرادية، معزولة عن بيئة «الحارة» و«البلد»؛

«ليس صدفة أن أغلبنا يعيش خارج مجتمعنا المحلي، بل ونسكن في حيفا. أمور بسيطة لا تستطيع أن تمارسها في الحي مثل أن تلاقى أختك بعد فترة لم ترها وتقبلها لحظة اللقاء في الشارع، هذا يؤدي إلى نظرات غريبة وغير مريحة من قبل المارين في الشارع، لذلك أفضل أن أعيش في مكان آخر».

«حيفا كمكان يضمن الخصوصية ويمكن التستر فيه، نعم، لكن حيفا في حياتها العامة فلا، هي لا تختلف كثيراً. الثمن الشخصي موجود لكنه هامشي، والثمن العام عندما يتوزع على الكل يصبح أهون».

بالإضافة إلى ذلك، أعطيت أهمية كبرى للمرأة وللدور الذي تلعبه في المحافظة على هذه العادات والتقاليد. هذه النقطة أشير إليها بشكل واضح في كلتا المجموعتين. كل مجموعة فتحت هذه الإشكالية من باب مختلف. لدى المجموعة التي «لم تقطع شوطاً» نبع التوجه من مكان تقسيمة صارمة للأدوار النمطية، تقسيم يعتبر في نظرهم طبيعياً جداً، لأنهم تربوا عليه، فذكروا أن النساء في حياتهم لا يجعلهم يقومون بالأمر التي هي للنساء على حدّ قولهم:

«أنت ممنوع من قبل الزوجة من أن تقوم بأعمال نسائية لأنها تريد أن

تراك رجلاً»

فيما عبّر آخر قارئاً:

«المقاييس ليست نشر الغسيل، نحن أربعة شباب، كُنّا نعمل نفس الأشياء، لكن أمي لم تقبل أن نساعدنا لأنه شغل بنات». أما بالنسبة لمجموعة الرجال الذين «قطعوا شوطاً»، فقد عبّروا عن غضب من الدور المُكرّس الذي تلعبه النساء في مجتمعنا:

«هنالك مشكلة كبيرة موجودة أيضاً في طريقة تفكير النساء، إحنا موجودين بمحل تحت الصفر وعلقانين هناك والمرأة مكيفة، عايشات وماشيات ويلا وهيكل أولاد وخلفة وتكبير وتجويز، متقبلات، مسلمات، ولذلك لتغيير الواقع يجب أن يحصل تغيير عند الطرفين، أي عند النساء أيضاً».

بينما عبّر آخر:

«مش موجودة المشكلة بس بطريقة تفكير الرجل، إنما بطريقة تفكير المرأة، أيضاً»، في مرة بتقول أعطي النساء حريتهم فييجوا ويقولولك إيش يعني في نساء إلي بطهر بناتها وبتربيهن يوطوا رأسهن وما إلى ذلك بس من المهم انو نعرف انو المرأة هي نتاج المجتمع البطريركي على مدى كذا سنين».

وعبّر آخر:

«النساء بشوفو حالهن مظلومات لأنه مفهوم الرجولة هو المسيطر واللي بيحقلوا أشياء لا تحق للمرأة بحكم إنه إحنا مجتمع ذكوري، سيطرة وهيمنة الرجل أكثر بكثير من هيمنة الأنثى، في ناس بيشفوقوا إنه الإشي مش لازم يكون هيكل في نساء مستسلمات للوضع بحسب قدرتهم الثقافية وإمكانياتهم وفي نساء عم تحاول تعمل ثورة إنه الوضع مش لازم يكون هيكل».

وهذا ما تذكره وتؤكد عليه هو كس بقولها: «إئنا، رجالاً ونساء، تربينا منذ ولادتنا على تبني النظام البطريركي المبني على أساس التمييز الجنسي في الأسلوب، التفكير والتعامل». وتضيف: «إنّ تربيتنا كنساء والتي هي مبنية

على نمط تفكير النظام البطركي، علّمنا أن نرى أنفسنا في مركز أدنى من الرجال، أن نرى أنفسنا كأثنا موجودات كل الوقت في تنافس مع بعضنا البعض على موافقة النظام البطركي» (Hooks, 2000). وهذا يؤكّد ما ذكرناه سابقاً من أنّ المفتاح الأساسي لمجتمع أفضل، خال من علاقات القوة، هو تغيير مفاهيم المجتمع البطركي.

في النهاية من المهمّ الإشارة إلى أنّ أغلب المشاركين من مجموعة الرجال الذين «قطعوا شوطاً» أعلنوا عدم رضاهم عن الوضع العام في المجتمع العربي. **أحدهم علّل أنّ عدم رضاه ناتج عن كون المجتمع متخلّفاً والمرأة في واقع دوني،** «إحنا عالم ثالث، الوضع صعب كثير، تعالي يا مره (امرأة) وروحي يا مره، فالوضع مزري».

فيما عبّر آخر (من نفس المجموعة) عن عدم رضاه من انعدام الاستقرار السياسي والأمر الناتجة عنه «إحنا عايشين خريطة كبيرة طويلة عريضة إن كان من ناحية سياسية ولأ من ناحية اجتماعية ولأ من ناحية المفاهيم الحياتية ولأ من نظرتنا للمشاركة، ولأ من وجودنا بهاي البلاد، في عندنا خريطة، جيل مخرب مش إلهي كان قبل 30 سنة».

أمّا بالنسبة لمجموعة الرجال التي لم تقطع شوطاً، فهناك شخص واحد فقط لم يكن راضياً عن المجتمع، وعلّل ذلك بسبب الحرّيات المعطاة للنساء، «يوجد انحلال وانحلال المجتمع متعلق بالمرأة لأنهم يريدون أن يسيروا في طريق الغلط، في عادات وتقاليد ليست لنا». استناداً على الموقف الذي أبدته المجموعة من قضية الأثمان فهذا كما يبدو يعبر عن عدم وعي لدى هذه الشريحة بما يخص الأثمان التي تدفع نتيجة للتعامل والسير حسب معايير المجتمع البطركي، وأثّه لا يبدو أنّ هناك حالة من عدم الاكتراث نتيجةً للامتيازات الوهميّة التي يحصلون عليها. وهذا يؤكّد لنا أنّه خلال تدخّلنا يجب أن نطرح إشكاليّة الأثمان وأن نحاول رفع وعي الأفراد نحوها.

مفهوم الرجولة

لم يكن سهلاً أبداً على المشاركين والمشاركات في جميع المجموعات المختارة تعريف مفهوم الرجولة ويرجع ذلك إلى كونه؛ مصطلحاً متعلقاً **بالهوية الجنسانية (Gender)**، والتي تعرّف بأنها «خليط من المعاني المُرَفقة لكلّ من الجنسين: معانٍ متعلقة بـ، ونابعة من، المجتمع والبيئة المحيطة» (Doyle, 1995). مع ذلك، رأينا، بعد النظر في النتائج الصادرة عن أدوات البحث المذكورة سابقاً، أنّ لكل مشارك فهمه وتفسيره الخاص لمفهوم الرجولة، فقد قدّم كلّ من المشاركين، في المجموعتين البؤريتين وفي المقابلات الفردية، تفسيره الشخصي والصحيح في نظره. وهذا ما يدعّمه بريتان (Brittan, 1989) بقوله: «ثمة عدّة تعريفات للرجولة وليس تعريفاً واحداً كلاسيكياً شاملاً».

في المقابل، لمسنا وعياً لدى المشاركين للمفهوم المتغيّر للرجولة من فترة إلى فترة ومن منطقة إلى منطقة وحتى من بلد إلى آخر، ويشير إلى ذلك Connell بقوله: «هناك تعريفات اجتماعية عديدة لكونيّة «الرجولة»، والتي من الممكن أن تتغيّر مع مرور الزمن ومن مكان إلى مكان. وفي حين أن المجتمع والثقافة الجماهيرية تفترض وجود مفهوم رجولة صحيح وثابت، لكن في الواقع كلّ القواعد المجتمعية العامة للرجولة تختلف بمرور الزمن، وفقاً لثقافة العصر، العمر والمكانة المجتمعية للفرد في داخله.» (Connell, 1995). فمثلاً، تحدّثت مجموعة الرجال الذين «لم يقطعوا شوطاً» عن الفرق بين معنى الرجل بينهم وبين آبائهم. أمّا مجموعة الرجال الذين «قطعوا شوطاً» فأطلقوا عليه لقب «مفهوم زئبقيّ» لكونه متغيّراً وغير ثابت:

«لا يوجد شيء ثابت في الحياة وهكذا الرجولة تتغير معانيها وأشكالها

من زمن إلى آخر. ألاحظ أننا تربينا على شيء ونحن اليوم في شيء

مختلف، أريد أن أقول أن مفهوم الرجولة زئبقيّ ومتغيّر».

وهنا يُطرح السُّؤال:

«هل الحديث عن تغيير في مفهوم الرجولة هو موضة عابرة؟ ردّ عابر لإحباط الرجال من تقدّم النساء؟ أم أنّه سيرورة تاريخيّة، ستغيّر حياة الرجال والنساء في الأجيال القادمة؟

بروفيسور برس يعتقد أننا على مشارف سيرورة لا رجعة منها. التغييرات التكنولوجيّة والاجتماعية التي تمرّ بها الإنسانية تلزم بإحداث تغيير في الرجولة التقليديّة، لكنه، من دون أدنى شك، مسار بطيء جداً. فبناءً على ما يقوله، إنّ الصفات الإنسانية صقلت على مدى فترة تاريخيّة طويلة جداً. وتعبّر شرفيط عن ذلك بقولها إنّ النجاح في الوصول إلى الرجل الجديد متعلّق بنجاح الرجل الجديد في مرحلة التبلور. وهي ترى أنّ السؤال الأساسيّ هو: هل سيغار منه أحد؟ هل سيصل أحدهم إلى استنتاج أنّه يستطيع مواجهة الصعوبات بشكل أفضل؟ الناس ينظرون من حولها كلّ الوقت ويتم فحص الإمكانات الموجودة. هم يرون الثمن الذي يدفعه الرجل التقليديّ الزائف، من مشاكل صحيّة وطلاق، ولذلك إذا نجح الرجل الجديد في مرحلة التبلور فسوف يتبعه كثيرون. (نرّان، 1992).

بالإضافة إلى ذلك استطعنا أن نميّز تسلسلاً معيّنًا للمفاهيم التي اخترنا أن نصوّرها كأنّها ممتدّة على سلّم، يوجد في طرفه الأوّل النفي التام لمفهوم الرجولة، الرجولة الفارغة المعنى؛

«بالنسبة إلى كلمات الرجولة لا أستعملها ككلمات كثيرة نسيتهما مثل، غربال، خم. لو سألتني ما هو الرجل في نظرك لقلت لك أشياء، أما كلمة رجولة فهي لا تعني لي شيء».

وفي طرفه الثاني مفاهيم رجولية واضحة، على الأقلّ لأصحابها. لقد كان هناك توافق تامّ بين الجميع في ما يتعلّق بتعريف الرجولة كصفة. وكان الاختلاف حول تمييز الصفة نفسها، فهل هي صفة خاصة مقتصرة

على الرجال فحسب، أم أنها صفة ذات مضامين إنسانية، تخصّ الجميع، سواء أكانوا رجالاً أم نساء.

في أوساط الرجال الذين عُرّفوا بأنهم «لم يقطعوا شوطاً» كانت الرجولة صفة ذات مضامين سلوكية، إيجابية، استعلائية على المرأة في بعض الأحيان، خالية من المشاعر مع تركيز على أهمية القوّة الجسدية، وقد صادفنا هذه الصفات في كلّ من المجموعة البوروية والمقابلات الفردية على حد سواء. وفي إمكاننا تقسيم الصفات التي ذُكرت إلى خمس مجموعات أساسية:

1. الرّجل داخل العائلة/ تجاه العائلة:

المسؤول الأساسي في البيت والمعيّل الأساسي له، الكد والسعي للرزق، مشارك في إدارة وبرمجة العائلة، عنوان الحماية في كل ما يخص العائلة، إعالة وتوفير الموارد للأسرة، التعاون والمشاركة مع زوجته في إدارة حياة الأسرة بكافة مجالاتها، توفير الحماية والأمان لأسرته، متابعة أبنائه في المدرسة، قدوة للأبناء من خلال علاقاته الاجتماعية وعطائه للمجتمع، مربٍّ وموجّه يقوم بإكساب أبنائه مهارات حياتية.

2. صفات شخصية:

مسؤول، يتسم بالإحساس بالآخرين، محبة دون مقابل، محافظ على العادات والتقاليد، وعي، إنسان، قائد، متفهم، متسامح، يوصي بالخير لغيره، شفافية، حل الصراعات. قادر على اتخاذ قرارات صعبة، مواقف، عقلاني، لا يدخل العاطفة (وهذا ما يميّزه عن المرأة)، حاسم، غير ضعيف، الشهامة، كامل الصفات، الحفاظ على الكرامة، غير ملوّن، حبّ الخير للغير.

3. القوة والقدرة الجسدية:

قويّ جسدياً، إثبات القوة والرجولة أمام المرأة، السلطة للرجل، تحمّل المشقّة، أن يكون قد حاله، الأفضنة، قادر أن يدافع عن حاله وحقّه، التحمّل، قادر على القيام بالعمل الشاق.

4. المشاركة في قضايا المجتمع:

التجاوب مع المجتمع، القيام بمتطلبات الجيران، القريب، للرجل دور في الحياة الاجتماعية، فعليه أن يشارك في حياة المجتمع وأن يساهم في القضايا الاجتماعيّة المختلفة، قدوة للأبناء من خلال علاقاته الاجتماعيّة وعطائه للمجتمع.

5. الاستعلاء على المرأة:

الرجال قوامون على النساء، وقد فسّر أحد المشاركين في المقابلات الفردية هذه الجملة بقوله «قوامة»، أي ما معناه السيطرة، سيطرة بأدب على حد قول المشارك. «مثلاً: هو يبوخذ القرارات بس مع مشاركة أهل البيت، بس القرار في النهاية يرجع له. القرار يرجع بالأخر للزلمة، لأبو البيت، يرجع القرار له بعد التشاور». الرجل يجب أن يثبت قوّته ورجولته أمام المرأة.

يمكن القول هنا إنّ الرجولة، حسبما عبّرت عنها المجموعة، تأتي في الأساس من خلال القيام بمهمّات وواجبات وأدوار مختلفة تجاه الأسرة والأبناء والمجتمع، أي أنّ تصوّر الرجولة متأثّر من تصوّر التقليديّ المحافظ السائد في المجتمع العربي.

أمّا الرجال الذين «قطعوا شوطاً»، فإنّ غالبيّتهم السّاحقة نفوا وجود مفهوم

الرجولة، أو قالوا إنَّ لا شيء يميّزها وأنها صفات إنسانية، غير مقتصرة على الرجال وحدهم. وقد عبّر عن ذلك أحد المشاركين بقوله:

«الرّجولة هي الصفات إلي بتوقع إنها تكون عادية بأي إنسان»، في ما عبّر عنها آخر بقوله: «أنا يشوف إنه مفهوم الرجولة عمومي لا أرى إنه فيو إشي خاص»، فيما عبّر عنها ثالث بقوله: «إيش الرجل وإيش الخصال المشتركة عند كل الرجال، بفكرش إنه في إشي مشترك، يجب محو مفهوم الرجولة وصياغة مفهوم الرجل في المجتمع من منطلق المشاركة».

في إمكاننا تقسيم هذه المصطلحات/ الصفات التي ذكرت عند سماعهم كلمة رجولة على أربع مجموعات:

1. مشاعر: دفء، أمان، ضغط.

2. قيم: إنسانية، تسامح، مساعدة، صداقة، مشاركة.

3. قوة جسمانية: عمل شاقّ، أعمال ذات مجهود، تحمّل، تحمّل المخاطر، صلابة،

عنف

4. صفات شخصية/ مميّزات للرجل؛

وهي تنقسم إلى ثلاث مجموعات؛

أ- صفات ذات مدلول إيجابي: حكمة، تفهم الغير، احتواء، عصامية، إيجاد حلول، حضور، صبر، دعم، تأثير، قدرة على التغيير، أخلاق، مسؤولية، اجتهاد.

ب- صفات ذات مدلول سلبي: نرجسية نوعيّة، ضعف حسّي، مسكين، محروم

من التعبير عن المشاعر، ناكر للأحاسيس، كبت، اضطهاد، تهرب، تعجرف.

ج- مميّزات بيولوجيّة: ذكورة، أبوة بيولوجية، أبوة كدور في العائلة.

في هذه المجموعة، وبالتحديد لدى الرجال في المقابلات الفردية، كان هناك نقد لاذع للرجولة المتبعة، الكلاسيكيّة، أو كما وصفها أحد المشاركين بأنها تلك «التي تصور الرجل كأنه خال من الشوائب والعيوب، المسؤول والقوي جسدياً»، والذي

هو، حسب رأيه، خاطئ وغير صحيح: «غلط مفهوم العنف المتبع وكأن كل شيء مبني على القدرة الجسمانية، غلط لأنه العالم مش رجل، غلط بالتعامل مع المرأة، غلط بالتعامل مع السلطة، غلط بالتعامل مع الأولاد وغلط بالتعامل مع نقاط الضعف الخاصة بهم، ممكن في رجال أقل رجولة من النساء حتى حسب المفهوم الكلاسي في رجال جسمانيًا أضعف من النساء.» وقد عزّز هذا الرأي مشارك آخر بقوله: «حتى القوة، ممكن امرأة تتمرّن وتعمل عضلات بس أنا يشوف إنه المرأة مش لازم يكون عندها عضلات هي إشي ناعم ونعش وهذا موضوع ثانٍ».

نستطيع أن نرى، أيضًا، استعمال المشاعر واستعمال صفات ذات مدلول سلبيّ عند الرجال الذين «قطعوا شوطًا»، وهما عنصران لم نرهما في نتائج مجموعة الرجال الذين عرّفوا بأنهم «لم يقطعوا شوطًا». رأينا أن لدى الرجال المشاركين في المجموعة البورية الذين عرّفوا بأنهم «قطعوا شوطًا» وعيًا لتأثير المجتمع البطرقي السلبيّ على الرجال، وقد تطرّقنا إليه في فصل المجتمع العربيّ.

بالإضافة إلى ذلك، إذا تعمّقنا أكثر في نوعية المصطلحات والجمل المستعملة في تفسير «مفهوم الرجولة» فإننا نرى أن المصطلحات المستعملة لدى مجموعة الرجال الذين «قطعوا شوطًا» أوسع بكثير من تلك المستعملة في مجموعة الرجال الذين «لم يقطعوا شوطًا»، وكما قد ذكرنا فهي تحوي المصطلحات المنتشرة على سَلَم النظريّات من البيولوجية حتى نظرية التوجّه النسويّ، مع التشديد على التأثير السلبيّ للمجتمع في تعريف مفهوم الرجولة وتأثيره على الفرد والذي يشكل بدوره ضغطًا عليه. نستطيع أن نرى هذا الأمر، بوضوح أكبر، من خلال نظرية التحليل الثقافي والنسوية القائلة بأن المجتمع يشجّع وجود مفهوم رجوليّ ملائم لمفاهيمها (Gilmore, 1990)، بينما، وفي المقابل، صحيح أن المجموعة الثانية منتشرة هي الأخرى على سَلَم جميع النظريّات، لكننا نستطيع أن نرى أنها تركز أكثر على النظرية البيولوجية التي تتحدّث عن اختلافات مولودة، وعلى النظرية

السلوكية (Brannon, 1976).

ويفسّر Connell ذلك كما يلي: «كلّ الرجال، رغم كونهم أفراداً مختلفين، يوجد بينهم قاسم مشترك، ألا وهو الامتياز النوعي للجنس، قواعد السلوك الجنسوية (Gender Norms)، وهي ناتجة عن التدريس والتعلّم فضلاً عن كونها طبيعية أو وراثية. فبحكم ولادتهم كذكور فهم يُمنحون شرعية الوصول إلى السلطة، وإلى مواقع القوة والموارد المختلفة مع تفضيل أساسي عن المرأة. إن هذا الإحساس بالاستحقاق يأتي في الواقع بسبب كونهم ولدوا ذكوراً (Connell, 1995). فالرجولة هي ناتج مجتمعي وليس متعلّقاً بجنس الفرد، بمجتمع أو بثقافة ما. حسب هذه النظرية، إنّ الرجل هو الذي يشكّل هذه التعريفات ليبقى مُسيطرًا. (Edley & Wetherell, 1995). إذًا، من هنا نستطيع أن نفهم أنّ السبب في هذا الاختلاف هو تأثير المجتمع البطرقي على هؤلاء الأفراد.

ويضيف : Connell (1995) «الرجولة مُصطلح متعلّق بتصور أفكار عن الرجل أو عن كيف يتوقع منه أن يتصرّف». هذا التعريف صحيح جداً لمجموعة الرجال الذين «لم يقطعوا شوطاً»، والذين كانت نسبة كبيرة من الصفات التي طرحوها لتعريف مفهوم الرجولة هي صفات سلوكية، مثل ما هو المتوقّع من الرجل أن يعمل في الأطر المختلفة، كالعائلة والمجتمع إلخ... في مجموعة الرجال الذين «قطعوا شوطاً» ظهرت هذه الإشكالية، لكن بشكل أقلّ، فقد كان هناك ذكر للمشاعر وللصفات الإنسانية التي لا تصف السلوك. لكن، رأينا، من ناحية أخرى، تقارباً بين المجموعة الأخيرة وبين مجموعة الرجال الذين «لم يقطعوا شوطاً»، من ناحية أنهم يولون القوة الجسدية والأبوة كدور في العائلة وزناً كبيراً في المعادلة. لقد كانت هذه هي الحلقة الوحيدة التي صوّرت فيها الرجولة كسلوكٍ وليس فقط كصفة إنسانية. وقد تمّ التعبير من خلالها عن الدور الذي يلعبه الرجل في المهمّات الصعبة، بسبب قدرته الجسمانية الكبرى مقارنةً بالمرأة، وبسبب

المسؤولية المُلقاة على عاتق الرجل في التعامل مع المواقف المأساوية والصعبة (مثلاً: في حالات الوفاة)، وينبع هذا، بحسب تعبير بعض أعضاء المجموعة «من طبيعة الرجل التي تمكنه من أن يتحمّل، يصبر، ويستوعب تلك المواقف». نحن نستطيع تفسير هذا بطبيعة المجتمع العربي الأبويّ النزعة، والذي هو مجتمع نظاميّ ذكوريّ مبنيّ على تقسيمة جنسنة للحيّز الاجتماعيّ، حيث يتمّ من خلاله تقسيم الحيّز الاجتماعيّ إلى حيّز عام، ذكوريّ، وحيّز خاص، أنثويّ (Rosaldo, 1974)، بالإضافة إلى ذلك، ورغم أنّهم «قطعوا شوطاً»، لكنهم جزء من المجتمع ولديهم ترسّبات من المجتمع البطرقي، بالإضافة إلى كونهم متأثرين بما يُسمّى بالذكوريّة النازعة إلى الهيمنة أو الذكورة النموذجيّة التي تحدث عنها كونيل (Connell, 1995) والتي تسيّرهم عن غير وعي.

ناردي وناردي (1992، 1993) في كتابهما «رجال على طريق التغيير» يميّزان بين خمسة أنواع من الرجال الذين يُمكن أن نصادفهم في المجتمع:

1. «**رجل تقليدي**»: مؤمن بالقيم الرجولية التقليدية، مصوّر كحازم، مموّل العائلة، خشن، متنافس، محارب وكابت لأحاسيسه.
2. «**الرجل التقليدي الزائف**»: مدرك للأجزاء الأنثوية التي لديه، لكنّه يخجل منها ويخبئها. ومع أنّه ترعرع على التعاليم التقليدية، إلّا أنّه يميل أكثر إلى المساواة، ومع ذلك فهو يحاول أن يلعب دور الرجل التقليدي الكلاسيكيّ.
3. «**الرجل الأنثوي**» أو «**غير الرجل**»: يميّز الرجال الذين على علم بالمركبات الأنثوية لديه، يُنظر إليه كشاذّ، رغم أنّه ليس بالضرورة أن يكون مثليّ الجنس، وهو يعتبر نفسه شاذّاً (عن المجتمع)، ولذلك لا يتأثر من الاستهتار أو من الصورة النمطيّة التي يصوّره بها المجتمع.

4. «الرجل الجديد في مرحلة التبليور»: يدعى بالرجل الجديد في مرحلة التبليور أو المتأقلم المبدع، وهو رجل الذي يحاول أن يجد دومًا حلولاً جديدة للتعامل والتصديّ للتغيّرات، وشأنه شأن الرجل التقليدي يظهر القوة، يتنافس ويحاول الفوز، وهو يخجل، مثل الرجل التقليدي الزائف، من المركبات النسوية في شخصيته ويحاول إخفاءها، لكنه يختلف عنهما بأنّه مدرك للحاجة في تغيير طريقة تفكيره وسلوكه للتغييرات الجديدة ويحاول تطبيقها.

5. «الرجل الجديد»: الرجل الجديد، وهو الصورة المثالية، مصور كناغم أكثر من الرجل التقليدي، أقلّ عنفًا منه، عاطفيّ، مرتبط بأحاسيسه ومشارك في البيئة المنزليّة.

ناردي وناردي (١٦٦٦، ١٦٦٦، 1992) يضعان هذه التعريفات على سلم يصوّر مدى بُعد كل تعريف، والسلوك الناتج عنه من «الرجل الجديد». ومن الجدير بالذكر أنّه لا يمكن الانتقال في هذا السلم من نوع رجولة إلى آخر، بل من صنف الرجولة التي تميز شخصًا معيّنًا إلى الهدف وهو «الرجل الجديد».

إن من شأن مراجعة نتائج البحث في كل من المجموعتين البؤريتين والمقابلات الفردية، بالإضافة إلى التدعيم النظري، أن تساعدنا على تمييز عدّة أمور. ففي ما يتعلّق بالمجموعات البؤريّة نستطيع أن نرى تقسيمة واضحة، نوعين من الرجال؛ الرجال التقليديين، والرجال الجدد في مرحلة التبليور. ومن الممكن أن يكون ذلك ناتجًا عن الصبغة التي أعطيت لكل مجموعة، ما ولد حاجة إلى الانصهار داخل هذه المجموعة، وبالذات بين الرجال ذوي المفاهيم المتحرّرة، وقد عبّر أحد المشاركين عن ذلك بقوله: «إنّهم مجموعة مختارة مختلفة عن المجتمع متنوّرة أكثر» مع ردود فعل متقبلة لما قيل من قبل باقي أفراد المجموعة. لكن، في المقابلات الفردية، وبسبب كونها شخصية، استطلعنا التمييز بين عدة أنواع من الرجال، فكان

منهم الرجل التقليدي، الرجل التقليدي الزائف، الرجل الجديد في مرحلة التطور والرجل الجديد.

الرجولة المختلفة:

تحدث الرجال الذين عرفوا بأنهم «قطعوا شوطاً» عن الرجولة المختلفة التي يمارسونها، والتي عرفوها بأنها مختلفة في تعاملها مع الجنس الآخر، وفي تعاملها مع الذات ومع المجتمع. إن «مفهومهم الصحي» للرجولة، كما أسماه أحد المشاركين، هو «النضوج، النظر للمرأة كشيء مكمل للرجل في الحياة الاجتماعية، التعامل مع المرأة بالشكل المتساوي وكشريكة تامة في حياة العائلة المشاركة في الأعمال البيتية، التعاون في مهمات العائلة، علاقات مختلفة مع الأخوات في البيت، وكل هذا من منطلق المشاركة والتفاهم كإنسان حر بتفكيرك وممارستك وكسب معيشتك وأن لا تكون عالة على أحد وأن الموضوع لا يكون قضية ارتباط مع أحد، ممكن أن تساعد ولكن يجب أن تكون غير مرتبط بأحد، أنا أؤمن أن المرأة مثل الرجل يجب أن تهتم بحاجاتها وشؤونها وتقضي حاجاتها بشكل مستقل، أنا أؤمن أن الرجل والمرأة يجسدان رجولتهما ونسويتهما بكونهما مستقلين. ان الاستقلال الاقتصادي مهم جداً، أنا أجسد رجولتي عن طريق المرأة وأنا أساعد المرأة بتجسيد أنشويتها». من المهم ذكر أن هذه التعريفات قريبة جداً لتلك التي يردن أن تراها النشيطات النسويات اللواتي شاركن في ورشة العمل: «شراكة، تعاون، مسؤولية، ثقة بالنفس، صدق، صراحة، حنون، معبر عن مشاعره».

مفهوم القوة

والقوة الجسدية وعلاقتها بالرجولة

ثبّين لنا من خلال تحليل النتائج أنّ هناك علاقة بين الرجولة والقوة، والقوة الجسدية منها بالذات، لاحظنا أنّه مع كون الغالبية الكبرى من المشاركين في المجموعتين من ذوي المهن التي لا تتطلب مجهوداً جسدياً لتأديتها، موظفين أو عاملين في مؤسّسات، ذكروا القوة الجسدية للرجل كمحور، يتمّ من خلاله تنظيم العلاقة وتوزيع الأدوار بين الرجل والمرأة، خصوصاً في الحياة الزوجية. تعطي أريئيله فريدمان في كتابها «قادمة من الحُب» (1996، ٦٦٦-٦٦٧) تفسيراً من القاموس لكلمة «قوة»، حيث تعني الطاقة، القدرة، التأثير على البيئة، التسلّط، الفعالية، السيطرة، الحزم. كما ويوفر «المنجد في اللغة العربية المعاصرة» تفسيراً مشابهاً: «طاقة من طاقات الحبل، كون الشيء مُستطاعاً...». وبالإضافة إلى ذلك، تقتبس فريدمان في كتابها بحثاً لخبرة نفسية اجتماعية أمريكية الأصل، يُشير إلى أنّ 69% من الرجال و71% من النساء عبّروا عن القوة بأنها: «القدرة على إرغام الآخر على فعل ما تريد». (1996، ٦٦٦-٦٦٧).

لاحظنا من خلال مراجعة نتائج البحث المختلفة، أنّه كلما كان الشخص أقرب بمفاهيمه إلى القيم التقليدية والمحافظة، زاد استعماله لمصطلحات تعبّر عن القوة في تعريف الرجولة: «الرجل قوي جسدياً، لديه قدرة أكبر على التحمّل، على القيام بالعمل الشاق، هو عنوان الحماية في كلّ ما يخص العائلة، هو المسؤول الأول في البيت والمُعيل الأساسي له»، ونلاحظ، أيضاً، أنّه في مجال القدرات الجسدية، هناك توظيف واضح لخصائص الرجل الفسيولوجية والبيولوجية لتكريس سلطة وهيمنة الرجل على المرأة. وقد فسّر ذلك ناردي بقوله: «الرجولة

التقليدية مبنية على معادلتين أساسيتين: السلطة = الرجولة، الرجولة = ضدّ الأنوثة»، ويتابع قائلاً «إنّ إحدى علامات التحكم والاستعلاء الرجوليّ في العائلة، هي تلقّي خدمات من الزوجة؛ إعداد الطعام بعد يوم عمل، تحضير ملابسه مع خروجه من الحمام، القيام بالمشتريات، الاهتمام بالأولاد. والرجل الذي تشربّ هذا النوع من السلوك من والده، يصعبُ عليه التأقلم مع وضع جديد. الرجال الذين يتبعون تعريف الرجولة كضدّ للأنوثة، يشعرون بالإهانة عندما يقومون بالأعمال المنزلية، وحتى عندما يحاول قسم منهم التغلب على هذا الشعور، محاولاً مساعدة زوجته، غالباً ما لا يستطيع الصمود في وجه الضغوط الخارجية من قِبَل أصحابه» (ناردي وناردي، 1992). وبالإضافة إلى ذلك، لاحظنا وجود علاقة بين هذه القوة وبين هيمنة الرجل وسلطته على المرأة في الحياة الزوجية، ووجود ميل أقلّ نحو حياة تسودها المشاركة بين الزوجين؛ حيث عبّر عن ذلك المشاركون في مجموعة الرجال الذين لم «يقطعوا شوطاً»، بالجمل التالية:

«السلطة للرجال، الرجال قوأمون على النساء».

وقد وصل الأمر بأخر إلى حدّ القول إنّ

«على الرجل واجب إثبات قوته ورجولته أمام المرأة، فالقوة هي من صفات الذكورة، وهذه القوة يجب أن تأخذ طابعها في حياة الزوجين، «الرجل هو الذي يقرر، يشور ويحكم»، «الرجل هو الذي يتحمل مسؤولية زوجته وبيته»، «القرار يرجع بالآخر للزوجة لأبو البيت»، «الزوجة هو القادر على اتخاذ قرارات في بيته ويعمل على أن تنفذ، بما معناه لا توجد مفاوضات مع الزوجة، مَش لَمَّا بتطلع عليه زوجته شو يدّها بصير».

بينما مقارنة بالرجال المشاركين في المجموعة البؤرية (الذين قطعوا شوطاً)، فإننا نلاحظ استعمال مصطلحات متعلقة بالقوة، لكن أقلّ حدة، ومن وجهة نظر مختلفة. قسم منهم أعطى أهمية للعامل البيولوجي، لكن ليس من باب القوة والتسلط، بل من باب المشاركة:

«حتى القوة، يمكن إنَّها المرأة تتمرَّن ويصير عندها عضلات»، «لو إحنا عايشين بالعصر الحجريِّ كان ممكن يكون صح، اليوم في نساء أقوى من الرجال، المرأة إلِّي بتحمل أثقال وتلعب تنس ويتسبح، أنجح منِّي ومثك بأيِّ امتحان قدرة كان»، «فسيولوجيا الرجل أقوى من المرأة، بس اليوم ولا واحد فينا حامل سيف أو مصايد ويطلع يتصيّد دبية»، «في رجال أقل رجولة من النساء حتى حسب المفهوم الكلاسي، في رجال جسمانيًّا أضعف».

القوة كما ظهرت في المجموعات ليست مقصورة على القوة الجسدية فقط، إنما تمّ تداولها من خلال القوة الاقتصادية وقوة الشخصية، وظهر ذلك بالذات في مجموعات الرجال التي «لم تقطع شوطاً» في مجال القوة الاقتصادية. تم تفسير هيمنة الرجل تاريخياً في المجتمع العربي، والمستمرّة حتى اليوم، لسبب كون المجتمع العربي منحدرًا من مجتمع زراعي، حيث الأفضلية للرجال في القيام بالأعمال الشاقة، واعتبارهم المؤمنين الأساسيين لمصدر رزق العائلة،

«أنت المعيل في البيت، المرأة مش دائماً المعيلة في البيت، بس الزلمة بيكون المعيل».

أمّا لدى الحديث عن قوة الشخصية، يُلْمَس الامتعاظ والتهديد الذي ينتاب الرجال عندما يجري الحديث عن قوة المرأة، أو الصورة الاجتماعية التي قد تتشكل عن «امرأة قوية»:

«صفات الرجولة للرجال، فقط، لا يُمكن أن تكون عند النساء، أو هي نادرة، أنا بشوف نسوين، عريضة وحكي سافل وهيك، هذا لا يميّز الرجولة، هذا حكي سافل، والمسؤوليات فيهاش رجوليات للمرأة، صار فرض عليها، إذا هي متزوجة أو جوزها بعيلاهاش، هذا فرض مش رجولة، هي مجبورة.»

أن أكون رجلاً

الرجولة، الذكورة والأنوثة ومسألة الفروقات بين الجنسين؛

في المقابلات الفردية لكلتا المجموعتين من الرجال، «الذين قطعوا شوطاً» و«الذين لم يقطعوا شوطاً»، كان هناك تطرّق إلى إشكالية المرحلة الانتقالية من التعريف «ولد» إلى التعريف «رجل»، الأمر الذي لم يُطرح في المجموعات البؤرية. جميع المشاركين ومن دون أيّ تحفظ، أعربوا عن أنه كانت هناك عوامل ساعدت على بلورة تعريف «رجل». مجموعة المشاركين الذين «قطعوا شوطاً»، أعربوا عن استقلالهم الفكري، استقلالهم الجسديّ (السكن خارج المنزل)، استقلالهم المادي عن الوالدين، قدرتهم الجسمانية، تحمل مسؤوليات أكبر وصعوبة الظروف الحياتية المختلفة، كحوادث عبورها للوصول إلى تعريف «رجل»؛

«قديش إنت بتوخذ على حالك مسؤولية، وقديش إنت بتفهم الحياة وتفهم غيرك، قديش إنت بتبني شخصيتك وقديش إنت مفتوح على العالم إلّي حواليك، قديش إنت المسؤولية إلّي كانت على أبوك وإمك عليك، فكريّة أو ماديّة، أو قديش إلك مفاهيم ومسارات في الحياة، فترة الخروج من البيت، المدرسة في حيفا، الجامعة، فكلّ هذه الفترات هي بهدف تكوين شخصية مستقلة، بتوخذ إلها مسار جدي بعد الجامعة، لما بتفوت على شغل، وبعد ما صرت مكوّن مفاهيم حياتك لإلك بصورة مستقلة».

فيما عبّر آخر:

«التغييرات بلشت لما استقلّيت، استقلّيت من المحل إلّي أجيّت منه، وبلشت أبني لحالي عالمي، الاستقلال في الأول هو اقتصادي، وبعدين هو فيزي، مسكن لحالي».

وعبر ثالث:

« كانت مبكرة، لأننا عانينا من ظروف قاسية في البيت، وأنا اضطررت إلى أنني أتحمّل مسؤولية كبيرة، من أنا صغير، صف ثامن، إنو أصير أشتغل بعد المدرسة، أتحمّل مسؤولية إنو كل شي تمام في البيت، كنت بهديك الفترة متأثر من أبوي وشايف إنو مفهوم الرجولة إنو أبوي بروح على الشغل ويطعمينا وأنا صرت زيو، بصراحة أنا صرت أطعمي وأشرب، مش لحالي، صرت أساهم بالموضوع، وبعدت بهاي الفترة عن الولدنه والحارات، لأنني كنت مشغول في إشي ثاني إلي هو أبوي كان لازم يساوي».

بينما مجموعة الرجال التي «لم تقطع شوطاً»، فبالإضافة إلى الأمور الأخرى التي ذكرت، والمشابهة للذي ذكر أعلاه، فقد عبّروا عن عامل الزواج بأنه الحاجز الذي عبّروه في طريقهم ليصبحوا رجالاً: «أنا تزوجت صراحة، لما تزوجت حسيت أكثر بالمسؤولية، أكثر بمعنى الرجولة إنك تكون مسؤول، يعني هاي أكثر لما تزوجت». فيما عبّر آخر بقوله «الرجولة درجات والشخص يصبح بالفعل كذلك عندما يتزوج، لأنو المرأة هي المكملة». فيما قال آخر «عندما تزوجت ودخلت الدين، بدأت أشعر بمسؤولية أكبر وإنني رجل أكثر». من اللافت للنظر هنا، أنه مع كون قسم من الرجال الذين قطعوا شوطاً متزوجين أيضاً، لم يذكروا هذا العامل كعامل أساسي في دخولهم إلى عالم الرجولة، على غرار المجموعة الأخرى، من الممكن أن يكون تفسير ذلك هو أنّ الزواج مثله مثل الخروج من بيت الوالد، والانتقال للعيش في مكان آخر لدى المجموعة الأخرى، لكن مع ذلك أقترح فحص هذه الإشكالية بشكل أعمق في المستقبل.

وبالإضافة إلى ذلك، لاحظنا أن تعريف الرجال للـ «مسؤولية» مختلف، فالرجال الذين «لم يقطعوا شوطاً» كانت المسؤولية بالنسبة إليهم مرتبطة بأمور خارجية، بمفهوم علاقة مختلف. بينما مجموعة الرجال الذين «قطعوا شوطاً» كانت المسؤولية بالنسبة إليهم داخلية أكثر، أن أخذ مسؤولية على نفسي.

لكن مع ذلك، إذا نظرنا إلى السؤال «أن أكون رجلاً»، فقد ربط معظم الرجال الرجولة بالمسؤولية، أولئك الذين قطعوا شوطاً وأولئك الذين لم يقطعوه، كلهم شعروا برجولتهم عندما عملوا أو أعالوا أو تزوجوا وأصبحوا مسؤولين عن أسرة. واعتقد أنه يُمكن من هذا الباب الإشارة، إلى أنه حتى الرجال المتحريين نسبياً لم يعفوا أنفسهم من وظائف الرجولة الصعبة، ومن الممكن أن يعمل المشروع على تحريرهم من هذه الصعوبات، وليس المقصود ألا يكونوا مسؤولين، ولكن أن نقوم بتعزيز المسؤولية المشتركة، أي أنه مثلما يرى الرجل نفسه شريكاً في التنظيف، يجب أن يتوقع أن تكون زوجته وأخته مسؤولتين عن الإعالة، وليس هو فقط، هذا مدخل للنظر في صعوبات الرجولة وليس امتيازاتها، فقط.

تجدر الإشارة هنا إلى أنه حسب تعريف الرجال في المجموعة التي لم تقطع شوطاً، لا يعني عبور هذه النقاط، فعلاً، أنهم رجال بالضرورة، فقد لاحظنا وجود عامل بيئي مجتمعي يساعد على اكتمال المفهوم، حيث ميّز غالبية المشاركين، كل من منظروه طبعاً، بين كينونة «رجل» وكينونة «ذكر»، ما يعني أن «جميع الرجال يجب أن يكونوا ذكوراً، ولكن ليس جميع الذكور رجالاً»، أو بكلمات أخرى، الذكر هو مفهوم بيولوجي أما الرجولة فهي مفهوم قيمّي سلوكي. فمثلاً، عند الرجال الذين «لم يقطعوا شوطاً»، الرجل «المحكوم لزوجته» على حدّ تعبيرهم، هو ليس رجلاً بل هو ذكر، هذا الشيء يعرض بصورة أعمق الضغوطات الاجتماعية والأثمان التي يعانها الرجال الذين قطعوا شوطاً، والتي ذكرت سابقاً.

وبالإضافة إلى ذلك، لاحظنا أنه كان لدى المشاركين الذين «لم يقطعوا شوطاً» وفي المجموعات البؤرية بالذات، بعض الخلط وعدم التمييز بوضوح بين الذكورة كشيء بيولوجي وفسولوجي يولد مع الإنسان، والرجولة

كمفهوم وسلوك ينشأ ويتشكل نتيجة المجتمع. يتمثل هذا الخلط بإسقاط صفات من الذكورة على مفهوم الرجولة وممارستها في مجالات معينة في الحياة اليومية، مثلاً الرأي الذي جاء في المجموعات بأن الرجل لا يتقن الأعمال المنزلية، أو أن الرجال غير عاطفيين مثل النساء، وذلك بحكم طبيعتهم. ومع ذلك، من المهم أن نذكر أنه لم يوافق جميع المشاركين على هذه الأقوال، وقد كان ردّ فعل أحد المشاركين «إذا اضطرت بتصير ست بيت محترمة». وعبروا عن أسباب عدم القيام بأعمال منزلية كأسباب متعلقة بالمجتمع (كما ذكر سابقاً)، «هويتنا يحددها المجتمع، أنت تفضل ألا تتصادم مع المجتمع، وألا تكون المختلف، فهناك ثمن يدفعه المختلف».

الفرق بين الجنسين؛

أمّا بالنسبة إلى الفروقات بين الرجال والنساء والأدوار الجندرية، فقد كان هناك فرق بين المجموعتين، وقد عبّر عنها المشاركون من مجموعة الرجال الذين «قطعوا شوطاً»، بأنها، في الأساس، فوارق بيولوجية بحتة، لكن لسبب تطوّر المجتمع، لم تعد تشكّل الفوارق البيولوجية عاملاً مهماً في المعادلة؛

«لو إحنا عايشين بالعصر الحجري كان ممكن يكون صح، اليوم في نساء أقوى من الرجال، المرأة إلّي بتحمل أثقال وتلعب تنس ويتسيح، هي فسيولوجياً أنجح منّي ومنك في أيّ امتحان قدرة كان. بسّ في الوضع الطبيعي، إذا منوخذ أشياء معمّمة، مع إنّ الرجل أقوى فسيولوجياً من المرأة اليوم ولا واحد فينا بحمل سيف ولا مصايد ويطلع يتصيّد دبية».

لكن في المقابل، هم أعطوا أهمية كبرى لعاملَي الأمومة والأبوة، باعتبارهما لديهم التجسيد الوحيد للفروقات بين الذكر والأنثى؛

«الرجل يؤدي دور الأب، وهو ما لا تستطيع فعله المرأة، والعكس

صحيح».

نظرتهم الأساسية إلى العلاقة بين الجنسين، وبما أنه - على حد قولهم - ليست هناك عوامل مولودة، تجسدت بمنطلق الشراكة التامة بين الرجل والمرأة، وأن كليهما يستطيع أن يعمل في كل ما يطمح إليه، لأن كليهما يتمتع بالقدرة على صنع ذلك، بفعل إنسانيتهما؛

«الفرق بين الرجل والمرأة بالآخر كلو حكي فاضي، بالآخر هاي صفات إنسانية، إذا موجودة عند المرأة أو الرجل، والاثنين بيكملو بعض»،
 «الرجل والمرأة هما الشيء نفسه، والفوارق هي بيولوجية فقط، هي تستطيع القيام بهذا الشيء وهو، أيضاً، يستطيع القيام بالشيء نفسه، والسؤال هو الفرص والإمكانيات التي تعطى لكل واحد منهما لكي يجسد/تجسد مفاهيم الرجولة ومفاهيم النسوية، أنا أعرف كثير من النساء إئي هئي أفضل من الرجال، وهناك رجال مناح، إنما كل إنسان هو قدرة كامنة، وهو مربوط بشيء شخصي، وهذا مجهود شخصي من إنسان لإنسان. الرجولة والنسوية هما أن يكون وجودهما مقدرًا ومجسدًا، وإذا غاب عن الساحة يحدث فراغ، وهذه هي الرجولة والنسوية. المرأة هي شريكة، هي إنسان، بتوخذ وتتعطي معاً، هي زوجتي، صاحبتني، أم أولادي، هي تخدمني وأنا يخدمها، أنا وهي، الاثنين منكمّل بعض وننقل تجربتنا لأولادنا».

أمّا بالنسبة إلى المشاركين من مجموعة الرجال الذين «لم يقطعوا شوطاً»؛ مع أننا استطعنا رؤية التقسيم الجندرية المتبعة في المجتمع بشكل واضح، فالرجل له الحيز العام والمرأة لها الحيز الخاص. ومع ذلك، لم يكن هناك رأي واحد مطلق فيما يتعلق بتعريف الأدوار الجندرية، بالإضافة إلى أننا لاحظنا فرقاً بين المشاركين في المجموعة البؤرية وبين المشاركين في المقابلات الفردية. فالمشاركون في المجموعة البؤرية تعاملوا مع هذه الفروقات على أنها فسيولوجية، تتعلق بطبيعة كل من الجنسين؛ بقولهم

إنهم لسبب كونهم ذكوراً لا يستطيعون القيام بالمهام المنزلية، لأنها ليست من طبيعتهم؛ «يوجد سُنّة، أشياء عقائدية، الله خلق الإنسان ولكلّ منا دور محدّد». وأضاف آخر «هنالك شغلات معيّنة، أولاد في سن صغيرة، أمور صحية ودراسية، ويحكم شغلي أو مش من الطبيعي إنّو أنا أذهب لمراجعة دور الولد في الصحية، بطبعتي لا أستطيع عمل ذلك، ولذلك هذا من صلاحية المرأة»، وبالإضافة إلى أهمية ذكر دور المجتمع في بلورة هذه التقسيمه، «متوقع من المرأة تقديم الأشياء، الصعوبة ليست عمّالَن الشيء، إنما توجد ثقافة مجتمع، وهذه الثقافة تقول إنّ لدينا أنماطاً سلوكية معيّنة للذكر، وأخرى للأُنثى»، أمّا المشاركون في المقابلات الفردية، فقد تشابهوا في قسم من آرائهم مع مجموعات الرجال الذين «قطعوا شوطاً»؛ «المرأة هي كائن حي له حقوقه مثل الرجل، الرجال والنساء متساوون، الفرق الوحيد هو الأمومة والأبوة، لأنّو هيك الطبيعة، المرأة خلقت لتجبل، وهي إلّي بترضع، والزله بيقدرش يساوي هاي الأشياء، بينما بيقدري يطعمي الولد بالقنينة، يغيّر حفاظات». وأضاف آخر: «العلاقة بين الرجل والمرأة يجب أن تكون بالمشاركة والإقناع، لا يوجد فرق بين الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات، عندها واجباتها وعُندو واجباتو». حتى فيما يتعلق بالقيام بالمهام المنزلية، لم يكن لدى هؤلاء المشاركين مانع على المستوى النظري، لكنهم ألقوا باللائمة على النساء في حياتهم، والتي - على حدّ قولهم - لا توافق على ذلك؛ «لا يوجد مانع من القيام بالأعمال المنزلية، لكن لم أتعود، لما سكنت حالي بفترة معينة كنت أجلي وأمسح، لأنني كنت لازم أعمل هاي الشغلات، بينما أُمي في البيت وحتى إنها لا تطلب مني». وأضاف آخر «لا يوجد لديّ مانع من العمل في البيت بسّ المسح مشكلة، حدّ المسح وبسّ، أنا يحب أساعد بسّ هي ما يتقبل». وقد فسر أحد المشاركين في المجموعات البؤرية ذلك - عدم رغبة النساء في أن يُساعد الرجال أو يُشاركوا في الأمور المنزلية؛ «بدها تصلها شايفتو زله».

تأثير الأوضاع السياسية والأمنية والدين على بلورة مفهوم الرجولة؛

المجتمع العربي في إسرائيل يعيش منذ عام 1948 في حالة عدم استقرار سياسي، وهي وضعية ذات تأثير كبير على المجتمع ككل، بما في ذلك الظروف الحياتية، التقسيمية الجندرية والسلوكيات الاجتماعية في داخله، ويذكر كل من كونيل، بيتي (Peteeet)، وطرابيشي (Connell, Peteet)، طرابيشي) وغيرهم، أن للاستعمار تأثيراً على الأفراد وعلى بلورة مفهوم الرجولة، حيث إن علاقات القوة بين المحتلّ والواقع تحت الاحتلال تؤثر على علاقات القوة الداخلية، والتي، بدورها، تبلور مفاهيم ذكورية جديدة، بالإضافة إلى تأثير الاستعمار الاقتصادي الحالي للعلمة، والذي يصقل رجولة نموذجية ملائمة له.

في بحثنا هذا لم يكن هناك أيّ تطرّق واضح من قبل المشاركين، على تأثير دولة إسرائيل على المفاهيم الذكورية المهيمنة، نقيضاً لما ذكرته الناشطة النسوية عرين هوارى، بعد تحليلها لمقالات منار حسن ونهلى عبدو، في مقالها «رجال تحت الحكم العسكري»؛ أن العادات والمفاهيم الاجتماعية تغيرت بعد سنة 1948 في ظل الظروف الجديدة التي طرأت، حيث بدأ يتخذ مفهوم الشرف معنىً محافظاً جداً لم يعهده الفلاحون من قبل. وتضيف أن الممارسات القانونية ذات العلاقة بالأمن، أدت إلى اختزال مفهوم الرجولة عند الرجل الفلسطيني الذي عايش الحكم العسكري، وأدّى إلى غياب الحيّز العامّ عن ذهن الرجل الفلسطيني، ما أثر على علاقة الرجل بالمرأة التي أراد بها الرجل إثبات رجولته المختزلة من قبل الجيش عن طريق إثبات قوته أمام المرأة. وتضيف قائلة «أنه رغم زوال هذه الحقبة التاريخية لم تختفِ نتائجها، وهو ما نشاهده نحن اليوم في العلاقات القائمة بين الرجال والنساء (هوارى، 2004).

كانت هناك ملاحظات بسيطة، مثل «إننا متأثرون بالأوضاع الاقتصادية والسياسية من حولنا، وإننا مجتمع في تغير مستمر، ولم نكن هكذا قبل -20 50 سنة»، «إننا عايشين خريطة طويلة عريضة، إن كان من ناحية سياسية أو من ناحية نظرتنا للمشاركة، أو من ناحية وجودنا بهاي البلاد، في عندنا خريطة، جيل مخرب، مش إلّي كان قبل 30 سنة، نحن موجودون في مرحلة انتقالية ما بين الانتماءات والمفاهيم السياسية والاجتماعية»، وأضاف آخر «إننا محاصرين ومحاصرين حالنا في وضع أمني سياسي واجتماعي». وتطرق مشارك آخر إلى أعضاء الكنيست في الأحزاب الإسرائيلية، قائلاً إنهم «ليسوا رجالاً، وإذا تغيّبوا عن الساحة السياسية فلن يحس أحد بغيابهم».

السؤال الذي نطرحه هنا هو: ما سبب عدم ظهور هذا العامل بشكل أوضح؟ هل هو متعلق بالأسئلة التي طرحت؟ بطريقة طرحها؟ أم أن التأثير متجزئ فينا لدرجة أننا لا نستطيع رؤيته؟

من الجدير بالذكر أنه حتى في بحث عرين هوارى، ورغم كونه يطرح إشكالية سياسية، لم يتطرق المشاركون هناك، أيضاً، بشكل مباشر إلى تأثير الأوضاع الأمنية والسياسية على بلورة مفهوم الرجولة، وكانت جميع النتائج نابعة عن تحليل أقوال الرجال، وهنا في بحثنا هذا نحن نعتقد أنه بسبب تركيزنا في الأسئلة على المستوى الشخصي وليس على علاقات القوى في المجتمع وتفاعلاتها مع مفهوم الرجولة، كانت النتيجة كذلك.

أمّا فيما يتعلق بإشكالية الدين وتأثيره على بلورة مفهوم الرجولة، فإنه رغم التأثير الكبير للدين على نمط حياة وتصرفات الأفراد في المجتمع، تبين لنا، من خلال مراجعة نتائج البحث، أن أغلب المشاركين لم يتطرقوا إلى هذه الإشكالية بتاتاً، في مجموعة الرجال الذين «قطعوا شوطاً» مشارك واحد، فقط، ذكر إشكالية الدين، وقد ذكرها بشكل من الامتناع وإبداء رأي خاطف بالنسبة إلى دور الدين في نظره؛

لن نخوض اليوم في العامل الديني وتأثيره، إلا أنني أعتقد أن للتعاليم

الدينية في كل الأديان دورًا في تخلف المجتمع وتخلف المرأة.

من اللافت للنظر أنه لم يكن هناك تعليق على هذا الموضوع من قبل المجموعة، وانتقلوا للحديث عن موضوع آخر. هل هذا علامة مبطنة على الموافقة على ما قيل في الشق الثاني من المقولة؟ إنها إشكالية يجب فحصها مستقبلاً.

في ما يتعلق بمجموعة من «لم يقطعوا شوطاً»، لم يكن هناك تطرق كافٍ لإشكالية الدين وتأثيره، كانت هناك مقولة واحدة من شخص واحد، يعرف نفسه كمتدين:

«هناك سنة خلق، أشياء عقائدية، دور المرأة محدد من قبل الخالق، حتى عند الملحدين هذا الدور قائم، هذه سنة لا تتغير».

أمّا باقي المشاركين فلم يعبروا عن ذلك، لا بطريقة واضحة ولا بطريقة مبطنة.

ما من شك في أن للدين تأثيراً كبيراً، رغم أن ذلك لم يظهر بوضوح في بحثنا، ومن الممكن أن يكون ذلك نتيجة لنوع الأسئلة التي طرحت والتي ذكرت سابقاً، أو حتى لسبب خلفيات الرجال، كما ذكرنا، إن اختيار الرجال كان على أساس معرفة شخصية، حيث من المؤكد أنه عامل معطل. من هنا نحن نقترح، مستقبلاً، فحص هذا العمل بصورة أعمق.

تبني مفهوم رجولة آخر؛

يُعتبر هذا الجزء أحد الركائز الأساسية لبحثنا هذا، ما هي الأسباب والظروف التي تتوافر لتكوّن مفهوم رجولة مغايراً للمفاهيم المعيارية المتبعة في المجتمع؟

يتطرق ناردي وناردي (1992)، إلى هذا الموضوع في كتابهما «رجولة في الطريق إلى التغيير»، من خلال أسئلة يوجهها إلى روت شريفطاه في حديثهما عن «الرجل الجديد في مرحلة التبلور»، فهي تقول: «بشكل عام، يمكن القول أنه لا توجد طريقة واضحة لكشف مبنى الشخصية أو المبنى الاجتماعي الذي تنبت منه الرجولة الأخرى. وبما أنه لا توجد أدبيات علمية، فالجواب موجود في عدة عوامل: الوضع المهني للشخص، الخلفية الأسرية، تعاطفه مع الوالدة، وتذمّره، أحياناً، من علاقته بوالده أو من الدور الذي يلعبه الوالد داخل العائلة، ممّا يولّد الرغبة لديه في أن يقوم بهذا الدور أفضل منه. وتضيف بأن جزءاً من الأدبيات التي تطرقت إلى هذا الموضوع، يُشير إلى علاقة بين عدم الرضى الذي شعر به هؤلاء الرجال في ما يتعلق بالدهم، وبين رغبتهم في تربية أولادهم بشكل مختلف. في اللحظة التي يُتخذ فيها القرار «أنا سوف أربي أولادي بشكل مختلف»، فبشكل طبيعي، سيغير التعامل مع شريكة الحياة والعائلة، عندما يتصرف الرجل بشكل مختلف كوالد، فمن الطبيعي أن يتصرف بشكل مختلف كزوج، هنالك مسؤولية أكبر في الحفاظ على جو بيت ملائم، بدءاً بالروائح في البيت وانتهاء بالطبخ، الغسيل، حتى دعم الزوجة في خلق هذا الجو.

جميع المشاركين أجمعوا على عدة عوامل أثرت عليهم، وبفضلها يتعاملون مع أنفسهم، رغم كلّ المصاعب الموجودة بطريقة مغايرة:

1. **العوامل الشخصية والقدرة الذاتية على النقد؛** أسباب تتعلق بشخصية الفرد، طريقة تفكيره أو ميوله الشخصي لمواضيع متمرّدة ودراستها؛ مثل الفن الذي حسَب قول أحد المشاركين هو « بحث اجتماعي للخليقة، المفاهيم الدينية وللكتير من القوانين المطبقة، اجتماعية كانت أو دينية » والتي تصور الأمور بطريقة مختلفة وتحفزك على التفكير والبحث الداخلي. وأضاف آخر إن هناك عوامل شخصية أخرى متعلقة بشخصية الفرد، من الصعب تعريفها، وتحفز الأفراد على فحص ونقد الأمور؛ « أنا أكره أن أكون معرّفًا أو موضوعًا في قالب » أنا بطبيعتي متمرد على الأشياء وأحب أن أفحصها».
2. **البنية الجسدية؛** بنية جسدية غير متماشية مع المعايير المجتمعية لشخص الرجل، « كنت ولدًا قصيرًا، فولا مرة الرجولة كانت عندي العضلات»، حسب رأيي هذه إشكالية معقدة بعض الشيء، لأنها من الممكن أن تؤد رد فعل عكسيًا للتعويض عن النقص الناتج عن ذلك.
3. **النساء في حياة كل فرد منهم؛** عند جميع المشاركين بدون استثناء، كان دور المرأة في حياة كل فرد منهم العامل الأساسي في بلورة هويتهم؛ لكن من المهم هنا ذكر أن النساء اللواتي ذُكرن هنا عُرفن كـ«أقوياء»، مثل الرجل أو حتى أقوى، الشيء الذي يقلب المفاهيم، بأن الرجل هو الأقوى والعكس صحيح؛ «أمي كانت إنسانة عصامية، أذكر أنه في حالة شجار في الحارة كانت تحمل السكين وتخرج لتقاتل المعتدين، أبي كان يختبئ في البيت وأمّي تخرج لتقاتل»، وأضاف آخر «نقطة الانطلاق هي النساء في حياتي، أمي، خالتي وعماتي، ما كان في قيود وكان مطلوبًا منهن زهن زي الرجال، شغل شاق وصعب كثير».
4. **رفض الظلم؛** رؤيتهم وتأثرهم بالإجحاف في حق النساء، وبالذات في حق النساء المقربات منهم، أمهاتهم، إخوتهم بالإضافة إلى تأثير عوامل أخرى من الممكن أن تكون شخصية عن طريق قراءات، أو بيئية،

بفضل الانكشاف على حقائق تصدم؛ « يمكن من خلال ذلك استخلاص عبر من الأشياء إليّ صارت معي، ومن الأشياء إليّ شفتها أو يمكن شغلات قرأتها أو من شي بحث داخلي، ويمكن كمان جزء منه كنفويض للإجحاف ضد المرأة». وأضاف آخر؛

« أكبر صدمة كانت لي هي العمل في محكمة الأحوال الشخصية، هناك اطلعت على الكبت، العنف ومعاناة النساء، هناك اكتشفت مدى المعاناة، وتجدر الإشارة هنا إلى أن نسبة الواتي يتوجّهن إلى المحكمة لا تتعدّى الـ 10%».

5. البيئة؛ التي تُصوّرَت في الجامعة، العمل أو الاختلاط بثقافات أخرى واكتساب تجربة حياتية غنية؛ «سفري للخارج واختلاطي بثقافات أخرى كان له تأثير كبير، وقتها فهمت إنو فش أبيض وأسود»، وأضاف آخر «عملي في مجال العمل الاجتماعي، والذي من خلال التأهيل إليه تتعلم كيف ترتبط بمشاعرك ومشاعر الآخرين، ومن ضمنهم النساء، وتتعرف على عالمهن».

6. تأثير الوالد؛ لشخصية الوالد كما لشخصية الأم (كما ذكر سابقاً) تأثير جوهري على بلورة هوية الفرد، طريقة تعامله مع النساء في محيطه، وعلى ردود فعله على الأدوار النمطية؛ «أمي كانت تفرق لصالح الشباب لكن أبي لا، مع البنات، عندما كنت صغيراً وكنت أطلب من أختي أن تعمل وتسخن الطعام كان أبوي يقول، لا إنت بتقدر تعمل هاي الأشياء لوحدك».

من الجدير بالذكر أن مجموعة الرجال الذين «قطعوا شوطاً» راضون عن الطريق التي يسلكونها، رغم الصعوبات التي يواجهونها نتيجة لأفكارهم وسلوكياتهم المختلفة، فأغلب هؤلاء المشاركين وبالذات الذين شاركوا في المجموعة البؤرية، يتحدثون عن مكاسب وأثمان كونهم مختلفين؛ رؤية إيجابية للذات، العيش برضا مع النفس واعتزاز بكونهم مجموعة تتمرد على المجتمع.

طرق عمل وتوصيات

قمنا في هذا البحث بفحص مفهوم الرجولة المتبع في المجتمع العربي الفلسطيني داخل إسرائيل، من خلال تتبع المواقف والسلوكيات التي تمّ التعبير عنها في مقابلات مفتوحة، نقاشات في مجموعتين بؤريتين مختارتين، بالإضافة إلى الاستناد إلى ورشة عمل شارك فيها إدارة، موظفات وملتوعات جمعية نساء ضد العنف.

الهدف الأساسي من البحث هو تكوين قاعدة أساسية لتطوير أسلوب العمل مع الرجال في المجتمع وللتعمق في فهم الموضوع، وعليه ارتأينا تقديم مجموعة توصيات تمكن الاستفادة منها في الجمعية وخارج الجمعية. مراجعة نتائج البحث أظهرت سبع نقاط أساسية تم التطرق إليها بتوسع داخل هذا البحث؛

6. **المجتمع العربي**، تأثيره على الأفراد في داخله، مكاسب وأثمان.
7. **مفهوم الرجولة**، تعريفه، والعوامل التي تساعد على بلورة هذا المفهوم.
8. **مفهوم القوة**، القوة الجسدية وعلاقتها بالرجولة.
9. **أن أكون رجلاً**، رجولة، ذكورة، أنوثة، ومسألة الفروقات بين الجنسين.
10. **تأثير الأوضاع الأمنية والسياسية والمعتقدات الدينية على بلورة مفهوم الرجولة.**
11. **أسباب تبني مفهوم رجولة مغاير للمعايير المجتمعية**

صلاحية التدخل؛ من خلال هذا العمل رأينا أنه لا يوجد مفهوم رجولة واضح متبع في المجتمع، إنما يوجد لدينا عدة مفاهيم للرجولة، نستطيع أن نصورها كأنها ممتدة على سلم، في طرفها الأول النفي التام لمفهوم الرجولة أو الرجولة فارغة المعنى، وفي طرفه الآخر مفاهيم رجولية واضحة، لأصحابها على الأقل. وبالإضافة إلى ذلك، رأينا أن مفهوم الرجولة متغير من حقبة زمنية إلى أخرى ومن مكان إلى مكان، وبكلمات أخرى، أن هذا المفهوم في مرحلة تقلب وتبلور مستمرة، ما معناه أنه بطرحنا إشكالية الرجولة في المجتمع إننا لا نطرح « تابو » بل نحن نطرح إشكالية مرنة بمعنى قابلة للتغيير، السؤال هنا هو كيف نطرح هذه الإشكالية بطريقة نجد فيها دعماً؟

تقسم التوصيات إلى أربعة أجزاء:

1. توصيات لأبحاث مستقبلية.
2. توصيات لعمل مستقبلي في الحقل.
3. توصيات لعمل داخلي داخل الجمعية.
4. توصيات عامة.

• توصيات لأبحاث مستقبلية:

- من الحيوي عمل بحث شامل يفحص مفهوم الرجولة في المجتمع بمشاركة شرائح أكبر من التي شاركت في بحثنا هذا، مجموعات بؤرية ومقابلات مع طلاب مدارس، طلاب جامعات، نساء، أكاديميين وعمال.
- من المهم اختيار المشاركين بطريقة مختلفة، حيث لا تؤثر على النتائج.
- من المهم أن تتناول الأبحاث القادمة فحص علاقات القوة في المجتمع وتأثيرها على مفهوم الرجولة.

- الفحص بشكل أعمق إشكالية عدم تطرق أغلب الرجال الذين مرّوا مرحلة لموضوع الدين.
- الفحص بشكل أعمق أسباب عدم التطرق بشكل أوضح لتأثير الأوضاع السياسية والأمنية على بلورة مفهوم الرجولة في المجتمع. هل هذا التأثير متجذر فينا لدرجة أننا غير واعين له؟

• توصيات لعمل مستقبلي في الحقل؛

- العمل مع مجموعات رجال تعرّف « الرجل الجديد في مرحلة التبلور »، استنادًا إلى ما قيل بأن نجاح هذا النوع من الرجال هو المفتاح لتبني مجموعات أخرى مفهوم رجولة منصفًا أكثر، بالإضافة إلى أن التجنيد والعمل مع هذه المجموعات قد يكون أسهل لسبب آرائها المتبلورة، ومن هنا يمكن بناء شراكة حقيقية، ويمكن بذلك رؤية نتائج بشكل أسرع.
- العمل على تثقيف وتوعية الرجال في المجتمع للأثمان التي يدفعونها بسبب تبني مفهوم الرجولة التقليدي، الأثمان الصحية بسبب الضغوطات، الأثمان في العلاقة الزوجية ومع الأولاد، التي غالبًا ما تكون غير متكافئة وتولّد التذمر، ومن الممكن أن تؤدّي إلى الطلاق في بعض الأحيان.
- العمل مع الجيل الصاعد، بما أن أحد الأسباب لتبني مفهوم رجولة آخر هو التذمر من الدور الذي يلعبه الوالد في العائلة، والعلاقة معه والرغبة في « أن أكون مختلفًا وأفضل »، فإن توعية من هذا النوع مع تصوير لأثمان الرجولة التقليدية، ممكن أن تبلور مفهوم رجولة صحيًا.
- خلق جو مختلف في المجتمع داعم لمعايير رجولة مختلفة. عن طريق تجنيد رجال أصحاب تأثير على المجتمع؛ صحفيين، كتاب،

مفكرين رياضيين، نجوم مسرح وسينما، بالإضافة إلى كتابة مقالات في الصحف.

- في العمل مع الرجال علينا توضيح الفرق بين الذكورة والرجولة وكشف الاستعمالات/الإسقاطات التي توظف الفروقات بين الذكر والأنثى لمصلحة هيمنة الرجل على المرأة وخصوصاً في ما يتعلق بالأدوار داخل الأسرة وعلى صعيد العمل، ومحاولة فك الربط بين الطبيعة البيولوجية والفسولوجية وعلاقة القوة بين الطرفين.
- يجب التوقف عند مفهوم « القوة » كما يطرحه الرجال وخصوصاً استخدام قوة الرجل الجسدية كوسيلة لتكريس سلطة وهيمنة الرجل على المرأة في كل عمل مع الرجال. يجب فحص المعنى وكشف الربط بين الرجولة والقوة وفحص مدى صحة الادعاء، ماذا يخدم ومن المستفيد وماذا يهدد الرجال عندما تكون المرأة قوية ومستقلة، وما الذي يمكن أن يكسبه الرجال عندما تكون المرأة قوية؟

• توصيات لعمل داخلي داخل الجمعية:

- مخلفات المجتمع البطريركي مترسبة ومترسخة داخل جميع أفراد المجتمع رجالاً ونساء، نحن كجمعية نرغب في قيادة بناء شراكة مع الرجال نحو مجتمع أكثر عدالة وتكافؤ، علينا بلورة فكر ومسار واضحين، داخلي مع عضوات، بالإضافة إلى القيام بورشات عمل مع الرجال لبحث الموضوع بشكل أعمق.

• توصيات عامة:

- الاستمرار بالعمل على تدعيم النساء، وكشفهنّ على رواسب المجتمع البطريركي المتجذرة فيهنّ، والدور الذي يلعبه في

المحافظة عليه.

- التأكيد على أن على الرحمة النسوية هي أن تعي أهمية العمل مع الرجال بصورة أكبر بكثير.

ثبت المصادر

- أبو النجا، شيرين (2003). مفهوم الوطن في فكر الكتابة العربية. بيروت: مركز دراسات الوحدة.
- الرشيد، مضايي. (2007). النظام السعودي ومعضلة الذكورية الخارقة، مقال نشر في صحيفة القدس العربي في تاريخ 5.02.07.
- السعداوي، نوال. (1974). المرأة والجنس. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط 3.
- المرينسي، فاطمة. (2001). ما وراء الحجاب الجنس كهندسة اجتماعية. الدار البيضاء - المغرب: نشر الفنك، 190 ص.
- المنجد في اللغة العربية المعاصرة (2000)، إعداد حمودي صبحي.
- النقيب، خلدون حسن. (1987). المجتمع والدولة في الخليج والجزيرة العربية، مشروع استشراف مستقبل الوطن العربي. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- بركات، حلیم. (2000). المجتمع العربي في القرن العشرين: بحث في تغيير الأحوال والعلاقات، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- بركات، حلیم (2004). الهوية: أزمة الحداثة والوعي التقليدي. بيروت: دار رياض الريس للنشر.
- جمعية نساء ضد العنف. (2005). مواقف من قضايا وحقوق المرأة الفلسطينية في إسرائيل. الباحثة الرئيسية د. هنيدي غانم. ص. 231.
- حنفي، حسن. (2004). النساء بين الغياب والحضور - ثنائية الحياة تتطلب عودة المرأة إلى موقعها في الحرية، جريدة الزمان، العدد 1728، يوم 11-2-2004.
- شرابي، هشام (1987). البنية البتركية: بحث في المجتمع العربي المعاصر. بيروت دار الطليعة.
- شرابي هشام (1992). النظام الأبوي وإشكالية تخلف المجتمع العربي. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- طرابيشي، جورج. 1979. شرق وغرب، رجولة وأنوثة بحث في أزمة الجنس والثقافة في الرواية العربية. بيروت: دار الطليعة.
- غصوب م، سنكلير إ. (2002). الرجولة المتخيلة (الهوية الذكرية والثقافة في الشرق الأوسط). دار الساقي للطباعة والنشر، ص. 303.

- هوراي، عربين (2004)، **رجال تحت الحكم العسكري: مفهوم الهوية الرجولية التي تكوّنت خلال الحكم العسكري وتأثيره**. مجلّة مدى الكرمل
- גאנס, הוניידה (2004). **תפקידם ומעמדם של האינטלקטואלים הפלסטיניים בישראל**. עבודה לשם קבלת תואר דוקטור, החוג לסוציולוגיה ואנתרופולוגיה, ירושלים: האוניברסיטה העברית.
- הוקס, בל (2002). **פמיניזם זה לכולם- פוליטיקה מכל הלב**. חיפה: הוצאת פרדם.
- נרדי, ח. (1992). **גברים בשינוי: סדרך לגבריות אחרת**. תל אביב: הוצאת מודן, ע' 272.
- פרידמן, אריאלה (1996). **באה מאהבה: אינטימיות וכוח בזהות הנשית**. [תל-אביב]: הקיבוץ המאוחד. ע' 188.
- **Bem, S.** (1987). Gender schema theory and the romantic tradition. In p.shaver & C.hendrick (Eds), *sex and gender (Pp. 251-271)*. Newbury park: sage.
- **Brannon, R.** (1976). The male sex role: Our Culture's Blue print of manhood.
- **Brittan, Arthur** (1989). Masculinity and power. Oxford, UK : Basil Blackwell,
- **Chadorow, N.** (1978). *The reproduction of mothering: psychoanalysis and sociology of gender*. Berkeley, CA: University of California Press.
- **Cheng, C** (Ed.) (1996). Masculinities in organizations. Thousand Oakes, CA: Sage
- **Connell, R.W.** 1995 Masculinities, University of California Press, Berkeley, California..
- **Connell, R.W.** 1996. Politics of changing men. Arena journal, no 6, 53-72.
- **Doyle, J. A.** (1995). *The male experience*. Madison, WI: Brown and Benchmark
- **Edley, N., & Wetherell, M.** (1995). *Men in perspective: practice, power and identity*. London: Prentice Hall.
- **Flax, Jane** (1990). Thinking Fragments: Psychoanalysis, Feminism, and Postmodernism in the Contemporary West. Berkeley, CA:

University of California Press.

- **Freud, S.** (1953). Three essays on the theory of sexuality. *In The complete psychological works of Sigmund Freud*: Standart edition (Vol. 10, Pp. 1-149), London: Hogarth (Original work published in 1909).
- **Gove, P. B** (Ed.) (1986). Webster's third new international dictionary. Spring field Ma: Merriam – Webster Inc. publishers
- **McElvaine, R.S.** (2001). *Eves's Seed: Biology, the sexes, and the course of history*. New York: Mc Graw Hill.
- **Oakly, Ann** (1972). *Sex, Gender, and Society*. London Temple Smith.
- **Peteet, Julie**. 2002. "Male Gender and Rituals of Resistance in the Palestinian Intifada: A Cultural Politics of Violence," Pp. 103-126 in Ghoussoub, Mai & Emma Sinclair-Webb (eds.), *Imagined Masculinities: Male Identity & Culture in the Middle East*, London: Saqi Books.
- **Rosaldo, Michelle**. (1974). *Woman, Culture and Society: A theoretical overview*. In *Woman, Culture and Society*. M. Rosaldo and L. Lamphere, eds. Stanford: Stanford University Press.
- **Seidler, V. J.** (1994). *Unreasonable men: Masculinity and social theory*. London: Routledge.

الملحق 1

مشروع العمل مع الرجال – مجموعات بؤرية

برنامج لقاء – الخميس 31/05/07

من الساعة 17.00 حتى 20.00

المجموعة 1

رجال مرّوا بتغيير في وعيهم للمرأة

الوحدة الأولى؛

الأهداف:

- فحص معنى الرجولة في نظرهم اليوم
- الوقوف عند السلوكيات التي تنتج عن هذا المعنى
- فحص المكاسب / الأثمان الناتجة عن تبني مفهوم رجولة آخر.

طريقة العمل: شمس خواطر

- يأخذ كل مشترك ورقة مع رسمة شمس مكتوبة داخلها كلمة رجولة. يكتب كل مشترك الكلمات والمعاني التي تتوارد إلى ذهنه عند التفكير في «الرجولة»
- نقاش:
- 1. يعرض المشاركون «شموسهم» وتتم مناقشة مسائل تنتج عنها.
- 2. كيف تنعكس مفاهيم الرجولة المكتوبة في الحياة اليومية؟
- 3. ما هي الصعوبات التي تواجهها في ممارسة هذه الرجولة في المجتمع؟

4. ما هي المكاسب التي تتلقاها في حياتك اليومية (العائلة، المجتمع، الأصدقاء، إلخ...)?

الوحدة الثانية :

الأهداف:

- الوقوف عند مراحل تشكل وبلورة مفهوم الرجولة لدى المشاركين.
- فحص العوامل التي أثرت على بلورة مفهوم الرجولة.

طريقة العمل : « خط حياة »

- يأخذ كل مشارك ورقة بيضاء ويرسم خطأ يمثل عمره ويدون عليه المحطات المختلفة التي أثرت في تشكيل وعيه لمعنى رجولته، ويعبر عن هذه المحطة بالشكل الذي يرتئيه لنفسه (مثلاً: قد يعتبرها «قمة» أو «هاوية» أو «منعطف» إلخ.....).
- نقاش

يعرض المشاركون خطوط حياتهم مع شرح المحطات المختلفة.

1. ما هي هذه المحطات؟
2. ما الذي أحدثها / أثر على حصولها؟
3. ما هي الظروف التي أثرت، وهل هناك شخصيات مركزية؟
4. كيف انعكس ذلك على ممارستك اليومية / نشاطاتك الاجتماعية؟

المواد المطلوبة:

الوحدة الأولى: أقلام، أوراق A4، ورقتان بريس تول، قلمان ARTLINE
الوحدة الثانية: أقلام، ألوان (نوع بسيط)، أوراق A4

الملحق 2

مشروع « العمل مع رجال »

المجموعة البؤرية 2: رجال متوسطون « عاديون »

تاريخ اللقاء 7/6/2007

من الساعة 17.00 حتى الساعة 20.00

الوحدة الأولى:

الأهداف:

- فحص معنى أن تكون رجلاً في المجتمع العربي.
- الوقوف على سلوكيات « الرجل » مقابل سلوكيات « المرأة ».
- تحديد ملامح عامة « للرجولة » - كيف يجب أن تكون.

طريقة العمل:

- يأخذ كل مشارك 5 بطاقات يكتب على كل منها ميزة/سلوك يعتبرهما خاصين بالرجل.
- نقاش
- 1. عرض البطاقات وشرحها.
- 2. كيف تميز هذه المزايا/السلوكيات « الرجل » عن « المرأة »؟
- 3. أي مواقف الرجال تتبناها لنفسك، وأي المواقف تراها لدى رجال آخرين لا تتفق معها؟

الوحدة الثانية:

الأهداف :

- تحديد ملامح دور « الرجل » ودور المرأة في المجتمع.
- فحص حدود الرجولة.
- الوقوف على مصادر تحديد الأدوار واتخاذ القرارات.

طريقة العمل:

- يأخذ كل مشترك 4 بطاقات.
- 1. على بطاقتين يكتب دورين/مَهْمَتين يراها كواجب/مسؤولية ملقاة على عاتق الرجل (من الحياة الاجتماعية، العائلية، الزوجية إلخ.....).
- 2. على بطاقتين أخريين يكتب دورين/مَهْمَتين لا يمكن أن يكونا/ تكونا مسؤولية الرجل حسب رأيه.
- نقاش:

1. عرض وشرح البطاقات.
2. إلى أي مدى تمارس الأمور في حياتك الخاصة؟
3. ماذا يميّز الرجل حيث تتلاءم هذه الأدوار مع طبيعته؟
4. ما هو مصدر هذه المفاهيم (العائلة، المجتمع، العادات، الدين.....؟)

المواد المطلوبة:

- الوحدة الأولى: أقلام، أوراق مكتبة 5*5
- الوحدة الثانية: أقلام، أوراق مكتبة 5*5

الملحق 3

أسئلة للمقابلات الفردية

نقاط الفحص:

1. فحص مبنى ومفاهيم الرجولة في مجتمعنا العربي.
2. الفرق، المشترك بين الرجولة والذكورة.
3. تحديد ملامح عامة للرجولة، كيف يجب أن تكون.
4. فحص مواقف الرجال من معنى ومفهوم الرجولة.
5. تصرفاتهم في مواقف معينة، وكيف ينعكس ذلك على موقفهم من مفهوم الرجولة.
6. الفرق بين الرجال والنساء، تعريف المجتمع والفرق في الأدوار.
7. ماذا يميز الرجل أو المرأة، حيث تتلاءم هذه الأدوار مع طبيعتهما.
8. الوقوف على سلوكيات الرجل مقابل سلوكيات المرأة.
9. «مفهوم الرجولة» (التقليدية) وتأثيرها على علاقة الرجال بأطفالهم، نسائهم وأنفسهم.

الأسئلة المقترحة:

1. ماذا يعني «أن أكون رجلاً»؟
2. متى كانت المرحلة التي انتقلت فيها من كونك ولدًا إلى كونك رجلاً؟
3. كيف ترى مفهوم «الرجولة» المتبع في المجتمع؟ تعريف.
4. هل هنالك فرق بين الذكورة والرجولة؟ هل هناك فرق من ناحية مجتمعية؟

- ما هي الذكورة؟
 - ما هي الرجولة؟
5. ما هي المواقف (هل هناك مواقف) التي تضع الرجل - حسب رأيك - في موضع امتحان لرجولته، ما هي، ما هو مصدرها، وما السبب الذي يجعلها تبدو كتهديد؟
 6. التوقعات ومدى تأثيرها السلبي/الإيجابي على سلوكيات الرجل في مواقف معينة.
 7. الفرق بين الرجال والنساء، ما هو؟ تعريف المجتمع لهذه الفوارق وأسباب وجودها.
 8. ما الذي يتميز به كل جنس على حدة، حيث تلائمه أدوار معينة؟
 9. السلوكيات «الرجولية» اليومية ومدى تأثيرها على علاقة الرجل بزوجته، أبنائه.
 10. كيف ترى مدى تأثير السلوكيات الرجولية لدى والدك على علاقته بك، بوالدتك؟
 11. كيف تقيم ديناميكية هذه العلاقة؟
 12. هل من الممكن وجود مفهوم آخر للرجولة؟
 13. لو أعطيت لك الفرصة للعمل مع مجموعات رجال لتغيير مفاهيمهم عن الرجولة، كيف كنت تطرح الفكرة؟ بأي أسلوب؟ وعلى ماذا كنت تركز؟

